الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي تخصص:

أدب حديث ومعاصر والموسومة بـ:

فيكتور هيجو عند العرب

إعداد الطالبين:

- محمد بن محمد

-عبد الله عمر منصور

إشراف الأستاذ الدكتور:

بوعزيزة علي

أعضاء لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
نهاري شريف	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
حاج علي ليلى	أستاذ محاضر أول	مناقشا
بوعزيزة علي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 2024م - 2025م / 1445هـ - 1446هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا، الذي بنعمته تتمّ الصالحات، نسأله تعالى إيمانا لا يتزعزع، وقلبا خاشعا صادقا، ودينا مستقيما، وعافية دائمة، وغنى عن الناس أجمعين، فهو نعم المولى ونعم النصير.

وبعد حمدنا وشكرنا للمولى عز وجل على ما وفقنا إليه من جهد وعلم في إنجاز هذا العمل، نتقدّم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى أستاذنا المشرف الفاضل الدكتور "بوعزيزة علي"، الذي رافقنا في كل مراحل هذا البحث بعلمه الغزير ونصائحه النيرة، وحرصه الدائم على توجيهنا بمنهجية دقيقة وعناية علمية عالية. فقد كان سندا لا يقدّر بثمن.

كما نعرب عن عميق امتناننا للسادة أعضاء لجنة المناقشة، الذين تكرّموا بقراءة هذا العمل وتقويمه، مقدّمين ملاحظات علمية بناءة سيكون لها بالغ الأثر في تطوير مستوانا البحثي.

ولا يفوتنا أن نوجّه الشكر الصادق إلى جميع أساتذتنا الأفاضل في جامعة ابن خلدون، الذين كان لهم الدور الأكبر في تكويننا المعرفي والمنهجي طيلة سنوات الدراسة، وكل من مدّ لنا يد العون وشاركنا هذا الإنجاز، قريبا كان أو بعيدا، فلكم منا جميعا جزيل الشكر والتقدير.

إهداء

قال تعالى: ﴿**واخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة**

وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 24]

إلى التي أوصاني بها المولى خيرا وبرا، إلى التـي حملتنـي وهنا على وهن، إلى التي سهرت الليالي لأنام ملئ أجفاني

إلى منبع الحب والحنان، إلى رمز الصفاء والوفاء

إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها في كل وقت بعينه التي لا تنام

أهدي ثمة هذا الجهد عرفانا ومحبة.

إلى روح والدي الطاهرة، إلى من علمني الصبر والقوة،

إلى من رحل جسده، وبقيت روحه تضيء دربي،

أهدي ثمرة هذا الجهد، عرفانا لما قدمه لي من حب ودعاء،

رحمك الله يا أبي، وجعل مقامك في الفردوس الأعلى.

محمد بن محمد

إهداء

أهدي ثمرة هذا النجاح لنفسي أولا، اعترافا بصبري وإصراري، ثم لكل من ساندني ورافقني في هذه المسيرة، دمتم لي سندا لا زمنا يمر، بل عمرا يزهر.

إلى من غرس فيّ بذور الطموح، وكان سندي في كل مراحل حياتي **أبي العزيز**.

إلى من سهرت وتعبت لأصل إلى ما أنا عليه اليوم **أمي العزيزة**.

إلى **والديّ العزيزين**، كل كلمات الشكر لا تفيكما حقكما.

وإلى **أخي الأكبر يوسف** الذي كان لي عونا وسندا في كل خطوة.

وإلى **إخوتي وأخواتي: إبراهيم وحليمة**، رفاق الدرب والدعاء.

وإلى من حملوني دعاء وفخرا ومحبة، **جدي وجدتي العزيزين**

وإلى **أصدقائي: بن داود، أسامة، هشام، عبد الإله، يونس**.

وإلى جميع من آمنوا بي حين شككت في نفسي.

وإلى كل من شاركني لحظة تعب أو فرح.

أهديكم هذه المذكرة، عربون حب وامتنان ووفاء لا يزول.

عبد الله عمر منصور

مقدمة

مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمدٍ النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يعد التفاعل بين الآداب ضرورة لتطور الأدب وتجديد مضامينه وأساليبه، إذ أن العزلة الأدبية غالبا ما تؤدي إلى الجمود. وفي حين يركز النقد الأدبي القومي على دراسة النصوص ضمن إطارها اللغوي والثقافي المحلي، فإن الأدب المقارن يتجاوز هذه الحدود ليستكشف التأثيرات المتبادلة بين الآداب، معتمدا على ثقافة واسعة وإتقان للغات الأجنبية. ويعنى هذا التخصص بدراسة المظاهر الفنية والفكرية المشتركة، سواء في التيارات والمذاهب أو الأجناس والموضوعات الأدبية، وصولا إلى تحليل التأثيرات الأسلوبية والشخصيات النموذجية.

وقد عرف الأدب العربي، في مراحل من تاريخه، تأثيرا ملحوظا في آداب الأمم الإسلامية والأوروبية. ومن أبرز الشواهد على هذا التفاعل ما يمكن أن يطلق عليه "فيكتور هيجو عند العرب"، حيث يعد هيجو رائد الرومانسية الفرنسية في القرن التاسع عشر، ونموذجا بارزا للتأثير المتبادل. فرغم عدم إتقانه اللغة العربية، إلا أنه أبدى إعجابا واضحا بالأدب العربي، وقد استعان بمترجمين لنقل مختارات من الشعر العربي والفارسي إلى الفرنسية، مما أتاح للقارئ الغربي الاطلاع عليها لأول مرة. وفي المقابل، لقيت أعماله صدى واسعا في العالم العربي، وأسهمت ترجمات أدباء عرب لأعماله في نقل أثره الشعري والفكري إلى القراء والشعراء، الأمر الذي يعكس عمق التبادل الثقافي بين الآداب.

ومن هذا المنطلق، جاء موضوع بحثنا (فيكتور هيجو عند العرب)، والذي كان بمثابة دراسة تحليلية تستلزم استقصاء مظاهر تأثر فيكتور هيجو بالعرب وبالشرق الإسلامي، إلى جانب البحث في أوجه تأثير أدبه، ولاسيما شعره في الحركة الأدبية العربية، وقد سعينا من خلال هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالية المركزية التالية: كيف تجلّى تأثر فيكتور هيجو بالعرب والثقافة الإسلامية في أعماله الشعرية؟ وما مدى تأثير شعره وأدبه في تطور الشعر العربي الحديث واتجاهاته الفكرية والجمالية؟

وقد قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى مدخل تمهيدي، يليه فصلان تحليليان، وبعده ملحق، لنختتمه في الأخير بخاتمة.

جاء المدخل التمهيدي بعنوان: الأدب المقارن: «التأثير والتأثر»، وقد استهلّ بإبراز أهمية المقارنة في الحياة عامة وفي الأدب خاصة، تلاه عرض موجز للأدب المقارن، شمل نشأته وتطوره، وتعريفاته المتعددة، وأهدافه، وأهميته العلمية والثقافية. كما خصص جزء من المدخل لدراسة ظاهرتي التأثير والتأثر، مع التركيز على العلاقات المتبادلة بين الأدب العربي والأدب الغربي.

الفصل الأول من البحث والذي جاء بعنوان "تأثر فيكتور هيجو بالثقافة العربية" تضمن مبحثين رئيسيين.

جاء المبحث الأول بعنوان "قراءة في ديوان الشرقيات"، حيث ركزنا فيه على دراسة هذا الديوان بطريقة تحليلية نقدية. بدأنا بتقديم لمحة عامة عنه، موضحين ظروفه التاريخية ومكانته ضمن أعمال فيكتور هيجو. ثم قمنا بتحليل بعض القصائد المختارة من الديوان، معتمدين على التحليل النصي للكشف عن الملامح الشرقية والتأثيرات العربية التي تظهر بوضوح في هذه النصوص.

أما المبحث الثاني، والذي جاء بعنوان: "تأثر وإعجاب فيكتور هيجو بالعالم الشرقي والإسلامي"، فقد تطرقنا فيه في البداية إلى تقديم لمحة موجزة عن ديوان أسطورة العصور، ثم انتقلنا إلى دراسة تحليلية لبعض القصائد التي تظهر فيها ملامح تأثر هيجو بالعالم الإسلامي. كما تناولنا إعجابه الكبير بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري، بالإضافة إلى تأثره الواضح بشعر المتنبي.

أما الفصل الثاني، فقد جاء بعنوان: "تأثير فيكتور هيجو في الثقافة العربية"، وتضمّن مبحثين رئيسيين.

تناولنا في المبحث الأول، المعنون بـ "العرب وتأثرهم بفيكتور هيجو"، أثر هذا الشاعر في عدد من الأدباء والشعراء العرب، من خلال عرض نماذج مختارة لأعمال تأثرت بفكره وأسلوبه. كما قمنا بمقارنة كل نموذج على حدة بأعمال هيجو، لإبراز أوجه التشابه والتقاطع بينهما، مما يعكس مكانته الكبيرة في الوعي الأدبي العربي، حيث اعتبر رمزا للعدالة والنضال الإنساني وعلوّ الشعر. وقد دعمنا هذا المبحث بنماذج من القصائد والاقتباسات التي عبّر من خلالها الأدباء العرب عن إعجابهم العميق بفيكتور هيجو، وبيّنوا مدى تأثيره في

رؤاهم الإبداعية وتوجهاتهم الفكرية، مع الإشارة إلى الشاعر العربي الذي رثاه بعد وفاته.

أما المبحث الثاني، فجاء بعنوان: "دراسات وترجمات العرب لشعر فيكتور هيجو"، حيث تناولنا فيه مظاهر الاهتمام الذي حظيت به الأعمال الشعرية لفيكتور هيجو في الأوساط الأدبية العربية، وقد استعرضنا أبرز الدراسات التي تناولت شعره، إلى جانب الترجمات التي قام بها عدد من المترجمين العرب، والتي ساهمت في نقل رؤاه الشعرية وأفكاره إلى القارئ العربي، مما يدل على عمق التفاعل الثقافي والأدبي مع نتاجه الشعري.

خصص الملحق لتقديم لمحة شاملة عن السيرة الذاتية لفيكتور هيجو، وذلك بغرض إبراز أبرز الجوانب الشخصية والأدبية التي أسهمت في تشكيل تصوراته الفكرية وتوجهاته الإبداعية.

وقد اختتم هذا البحث باستعراضنا لأهم النتائج التي تم التوصل إليها، وعلى رأسها الكشف عن السمات الشرقية الحاضرة في ديوان الشرقيات، إضافة إلى توضيح مدى تأثر فيكتور هيجو بالعالم الإسلامي وانجذابه إليه، فضلا عن إبراز أثره اللاحق في عدد من الشعراء والأدباء العرب.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج رئيسي: المنهج التاريخي، لما تقتضيه طبيعة الموضوع من تتبّعٍ زمني لمسارات التأثير والتأثّر، وتحليلٍ موضوعي للنصوص والمواقف الأدبية، مع الجنوح أحيانا إلى المقاربة المقارنية في تحديد ظاهرتي التأثر والتأثير. وقد استعنا في ذلك ببعض أدوات التحليل والاستقراء، من أجل تقديم قراءة منهجية تستند إلى شواهد دقيقة ونصوص مختارة، تعكس عمق التفاعل الثقافي بين فيكتور هيجو والعالم العربي، سواء من جهة تأثيره في الأدب العربي الحديث، أو من جهة تأثره بالثقافة الإسلامية والشرقية.

ومثل معظم الأبحاث، واجه هذا البحث بعض الصعوبات أثناء إعداده، وأبرزها كانت قلة المصادر والمراجع التي تتحدث بشكل مباشر ومفصل عن تأثر فيكتور هيجو بالعالم العربي وتأثيره على الأدباء والشعراء العرب. ولذلك اضطررنا لبذل جهد أكبر لجمع المعلومات من مصادر مختلفة وغير مباشرة، وتحليلها بعناية للوصول إلى نتائج موثوقة.

وفي هذا البحث، اعتمدنا على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع العلمية الموثوقة، والتي شملت كتبا متخصصة، ودوريات محكمة، بالإضافة إلى دراسات سابقة ذات صلة بموضوع الدراسة. ومن أبرز المصادر التي استندنا إليها واعتمدنا عليها:

- محمد بديع جمعة: دراسات في الأدب المقارن.
- Victor Hugo : les orientales.
- Victor Hugo : La Légende des Siècles.
- جمال الدين الرمادي، خليل مطران-شاعر الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، ط1، 1972م.
- روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هو جو.

ونتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور بوعزيزة علي لقبوله الإشراف على هذه المذكرة المتواضعة وعلى صبره معنا، وتحمله مشقة التصحيح، كما نشكر اللجنة العلمية الموقرة التي تكفلت بقراءة ومناقشة هذه المذكرة.

ومن طبيعة الإنسان النقص والنسيان، والخطأ وارد في كل جهد بشري، فإن أصبنا ووفقنا فذلك فضل من الله ونعمة نحمده عليها، وإن أخطأنا فنسأله العفو والمغفرة، ونرجو من قارئ هذه المذكرة أن يتقبل عملنا بتسامح، فغايتنا التعلم والاجتهاد، والله وحده الموفق والمستعان.

محمد بن محمد
عبد الله عمر منصور

تيارت: 2025/05/26م.

مدخل

مدخل

1. أهمية المقارنة في الحياة ثم الأدب

تعد المقارنة نشاطا أساسيا في أداء الفكر الإنساني، وأحد أقدم أشكال الاستجابة المعرفية التي يمارسها الإنسان في حياته اليومية، بدءا من أبسط القرارات كاختيار السلع، وصولا إلى أكثرها تعقيدا كتحليل المواقف أو المفاضلة بين الخيارات الوجودية. فالمقارنة ليست سلوكا مكتسبا، بل ظاهرة فطرية ترتبط بطبيعة الوجود القائم على الثنائية، حيث تدفع هذه الازدواجية العقل البشري إلى بناء فهمه للعالم من خلال صراع الثنائيات وتفاعلها.

إن صراع الثنائيات – بين الذات والآخر، الجميل والقبيح، الخير والشر. يشكّل قاعدة أساسية لعمل الفكر المقارني، الذي يمثل بدوره إحدى آليات الذكاء الإنساني، إذ يعتمد على الربط بين الأشياء واستخلاص المعنى من التماثل أو التباين. وبهذا المعنى، فالمقارنة ليست مجرد وسيلة معرفية، بل أداة أنطولوجية لفهم الذات والآخر، وآلية لتحديد موقع الفرد داخل النسق الكوني والثقافي.

وفي هذا الصدد يقول **برونتير**: «نحقق أنفسنا بالتعارض ونتحدّد بمقارنة أنفسنا بالآخرين. إنّنا لا نعرف أنفسنا عندما لا نعرف إلا أنفسنا»[1].

لا تعود ممارسة المقارنة إلى الزمن الحديث، بل هي ضاربة في جذور التاريخ الإنساني، إذ يؤكد **إيتيامبل** أن «المقارنة قديمة قدم الحضارة المكتوبة، حيث مارسها الإنسان دون وعي اصطلاحي بها»[2]. ففي الحضارة السومرية مثلا، وضعت منذ آلاف السنين قواميس متعددة اللغات، تعكس انشغالا مبكرا بمقارنة اللغات والثقافات. وقد استمرت هذه الروح المقارنية في العصور الوسطى، وهو ما يدل على أصالة هذا المنهج وأهميته في مسار التطور المعرفي والثقافي.

---

[1]- نبيل رشاد نوفل: الأدب المقارن قضايا ومشكلات، منشأة المعارف، ط1، 2009م، ص13.

[2]- ينظر: رقية صالح، منتديات منابر ثقافية، الادب المقارن comparative littérature، https://www.mnaabr.com/vb/printthread.php?t=3952، 2011/07/03

ولم تكن العلوم الأدبية بمنأى عن هذا التوجّه، فقد نشأت في مناخ علمي هيمنت عليه المقارنة، لاسيما حين اتخذت علوم كالتشريع، والتشريح، والنبات، والحيوان منحى مقارنا في دراستها للظواهر.

وانطلاقا من هذه الوظيفة الحيوية للمقارنة، انتقل أثرها إلى مجال الفكر والأدب، حيث أصبحت أداة مركزية في قراءة النصوص وتحليلها. فالأدب بصفته تعبيرا عن التجربة الإنسانية، لا ينفصل عن السياق الثقافي الذي ينشأ فيه، كما لا يقرأ بمعزل عن النصوص الأخرى المشابهة أو المختلفة.

2. ظهور الموازنات والمقارنات

ظهرت بوادر الحس المقارني في النقد الأدبي القديم، من خلال ما عرف بـ**"الموازنات"** بين الشعراء، فقد «فطر الناس على حب المفاضلة بني الوسائل التي ترمي إلى غرض واحد، والموازنة بني الأنواع التي ترجع إلى أصل واحد، وقد ظهرت هذه الفطرة واضحة جلية حني طهر الشعر، وتبارى في قرضه الشعراء»[1]. وقد اهتم الأدباء في شتى العصور بعقد الموازنات بين الشعراء المتميزين الذين عاصر بعضهم بعضا، بغية إبراز الفروق الأسلوبية والموضوعية بينهم «فوازنوا بين امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى في الجاهلية، وبين جرير والفرزدق والأخطل في الدولة الأموية، وبين أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي العتاهية وبين ابن المعتز وابن الرومي، وبين أبي تمام والبحتري في الدولة العباسية. وكذلك عقدت الموازنات بين من نبغوا بين أولئك الفحول إلى العصر الذي نعيش فيه. وكتبت الجرائد المصرية والسورية عن الموازنة بين **"شوقي"** و**"حافظ ومطران"**، ولا يزال الأدباء مختلفين في حكمهم على من تقدمهم أو عاصرهم من الشعراء»[2]، وقد تضاعفت هذه الموازنات في منتصف القرن التاسع عشر، بعد اتصال العالم العربي بالغرب. ومع اتساع آفاق المعرفة وتطور المناهج، ظهر بما يسمى بالمقارنات والذي «ظهرت ملامحها في العصر العباسي مع **"الجاحظ"**، في كتابه **"البيان والتبيين"**، حيث يقارن بين الأدب العربي والآداب الأجنبية، ومع **"ابن طباطبا العلوي"** في كتابه **"عيار الشعر"** حيث يدرس تأثير المعاني الأجنبية في العرب، ومع أبي الفرج

[1]- زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1، 1993م، ص7.
[2]- نفس المرجع، ص ن.

الأصفهاني في كتابه "الأغاني"، وغيرهم»[1]. وهذه المقارنات تقوم على «دراسة نصين أو أدبين ينتميان إلى ثقافتين مختلفتين، من حيث أوجه التلاقي والاختلاف بينهما، مع التركيز على ظاهرتي التأثير والتأثر»[2].

3. الأدب المقارن نشأته وتطوره ودوره الثقافي

لا شك أن تطور الفكر الأدبي والنقدي مر بعدة مراحل تمهيدية، بحيث «وإن كان القرن الثامن عشر قد مهد الطريق فلسفيا وأدبيا للدراسات المقارنة، فإن القرن التاسع عشر كان هو القرن الذي ولدت فيه فكرة الأدب المقارن»[3]، وقد «ظهر هذا التعبير لأول مرة في فرنسا (1838م) على يد جون جاك أمبير الذي أعطى محاضراته في جامعتي مرسيليا وباريس في هذه الفترة وجعل عنوانها **"الأدب المقارن"** (La Littérature Comparée) ، وفي نفس الوقت كتب فيلمان أول كتاب منهجي في الأدب المقارن عن: **"أدب القرن الثامن عشر"** وقد درس فيه أدب هذا القرن في فرنسا وانجلترا وألمانيا»[4]. ومن ثمّ «في مطلع القرن العشرين، تطوّرت أسس الأدب المقارن، مما ساهم في تشكّل ملامحه المنهجية»[5].

ويعد أول من جاء بهذه التسمية هو **"فان تيجم"** بحيث عرفه قائلا: «أنه العلم الذي يدرس على نحو خاص آثار الآداب المختلفة في علاقاتها المتبادلة»[6]. أم **"جويار"** (Guyard) تلميذ **"ماري كاريه"** (Marie Carre)، فيقدّمه بالتعريف الآتي: «الأدب المقارن هو تاريخ العلائق الأدبية الدولية، فالباحث المقارن يقف عند الحدود اللغوية والقومية ويراقب مبادلات الموضوعات والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب»[7]. وأيضا نجد لمصطلح "**الأدب المقارن** "

---

[1]- ديزيره سقال، في الأدب المقارن، 2018م، ص17-18.
[2]- ينظر: ديزيره سقال، في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص18.
[3]- أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م، ص20
[4]- المرجع نفسه، ص24-25.
[5]- ينظر: نفس المرجع، ص35.
[6]- الطّاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1407ه-1987م، ص194.
[7]- هادي نظري منظم وريحانة منصوري: الأدب المقارن ومجالات البحث فيه، مجلة التراث الأدبي السنة الثانية، ع8، ص128

تعريفات متعددة في المعاجم والقواميس المتخصصة. فقد عرّف على سبيل المثال، في "**قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر**" بأنه: «مجال دراسي يهتم بموضوع المؤثرات الأدبية على أدب آخر، أو دراسة تأثره به، ويدرس كذلك هذا المجال تاريخ الآداب القومية، فيكمل نتاجها وينسقها ويضم بعضها إلى بعض في إطار تاريخي عام»[1].

للأدب المقارن قيمة علمية وثقافية كبيرة، إذ يقدّم فوائد وأهدافا متعددة، ولعل «الهدف الرئيسي من الدراسات المقارنة هو تعزيز الأدب القومي وتوسيع نطاقه، سواء من حيث الأنواع الأدبية أو المواضيع التي يتناولها الأدب القومي والأفكار المتداولة بين الأدباء بلغة معينة»[2].

كما «أن البحوث المقارنة تفتح العيون على ألوان جديدة من أجناس وأفكار متداولة في آداب أخرى خارجية، وبذلك يجد الأدباء القوميون الفرصة للتأثير والتأثر، ونقل أفكار جديدة وكذلك أجناس أدبية لم يكن لهم بها سابق علم أو معرفة قبل اطلاعهم على هذه البحوث المقارنة، وقبل الانفتاح على هذه الآداب الأجنبية»[3].

وعلينا ألا ننسى أن أهمية الأدب المقارن لا تقف «عند حدود دراسات التيارات الفكرية والأجناس الأدبية و القضايا الإنسانية في الفن، بل إنه يكشف عن جوانب تأثر الكتّاب في الأدب القومي بالآداب العالمية و ما أغزر جوانب هذا التأثر، وما أعمق معناها لدى كبار الكتّاب في كل دولة»[4]. كما يجدر بنا أن نأخذ في الاعتبار أنّ الأدب المقارن «يكشف لنا عن العلاقات التاريخية بين الآداب بعضها البعض، وكيف اتصل هذا الأدب بذاك وكيف أثر كل منهما في

---

[1]- سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر(عربي - انجليزي - فرنسي)، دار الآفاق العربية، ط1، 2001م، ص78.

[2]- محمد بديع جمعة: دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1980م، ص30.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

[4]- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص13.

الآخر ماذا أعطى وماذا أخذ»[1]. وعلى سبيل المثال «كأن يحدد المرء ماذا أعطى الأدب الفرنسي للأدب الألماني من مؤثرات وماذا أخذ منه»[2].

ومما سبق يتبيّن أن الظاهرة المركزية التي يشكّل رصدها وتحليلها محور اهتمام الأدب المقارن هي **"ظاهرتي التأثير والتأثر"** بين الآداب المختلفة.

4. دراسة ظاهرتي التأثر والتأثير

تعدّ دراسة ظاهرتي التأثير والتأثّر من الركائز الأساسية في ميدان الأدب المقارن، إذ تقوم هذه الدراسة، في صورتها الشاملة، على مجموعة من الأدلة التاريخية التي تثبت وجود علاقات وتفاعلات بين الأمم على اختلاف مواقعها الجغرافية وتباين خلفياتها الثقافية والسياسية والعقدية. كما تستند إلى شواهد دقيقة تبرز ملامح تأثّر أدبٍ ما بآخر، الأمر الذي يدحض المقولة القائلة: «الاكتفاء الذاتي للآداب القومية، واستقلالية تلك الآداب وتفردها»[3]. إذ لا وجود لأدب قومي ظلّ بمنأى عن تأثير الآداب القومية الأخرى، بل إن التفاعل بين الآداب يعدّ سمة ملازمة للتطور الأدبي، تتجلى بصور وأساليب متعددة عبر التاريخ ، فقد «شكلت دراسات التأثير والتأثر ردا على دعاة التعصب القومي في الأدب الذين يزعمون أن أدبهم أصيل بصورة مطلقة وخال من المؤثرات الغريبة»[4] ، كما أنّ «لأصالة الأدب القومي وخصوصيّته وتفرّده حدودا، إذ أظهرت الدراسات المقارنة أنّ هذه الخصائص ذات طابع نسبي، وأنّ الآداب، على اختلافها، تدخل في علاقات تفاعل وتبادل مستمر، تتجسّد في الأخذ والعطاء، والاستيراد والتصدير، حتى مع التباعد الزماني والمكاني بين الثقافات»[5]. وبوجه عام، يمكن القول: إن أسلوب الكتابة يتألف من عناصر ثلاثة: الإبداع الشخصي، والتقليد القومي، والمؤثرات الوافدة أو الأجنبية التي تبدو قوية أحيانا وضعيفة أحيانا أخرى، كما قد يحدث تأثير كاتب بآخر في المواقف التي تتصل بالفكرة والموضوع، كما قد يحدث التأثير في الأساليب والصور البيانية والخيالية، ومع هذا التأثر تبدو للكاتب المتميز أصالته ويبدو

---

[1]- طلعت صبح السيد: الأدب المقارن، د.م.ن، ط1، 2005م، ص04.
[2]- عبده عبود: الأدب المقارن - مشكلات وآفاق، اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص27.
[3]- المرجع نفسه، ص29-30.
[4]- المرجع نفسه، ص30.
[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن

طابعه الخاص الذي يعرف به. كما يقصد بالتأثير الأدبي العلاقة التي تنشأ بين طرفين: المؤثّر (**المرسل**) والمتأثّر (**المتلقي**)، سواء أكانا كاتبين، أديبين، أو تيارين أدبيّين. وتعدّ العلاقة بين الموشحات والأزجال الأندلسية، بوصفها نصوصا مرسلة، وشعراء التروبادور في أوروبا، بصفتهم متلقين، مثالا بارزا على هذا النمط من التأثير، سواء من حيث الشكل أو المضمون.

وقد نجد الأستاذ عباس محمود العقاد يقول: «إن الأمم الشرقية و الغربية جميعها دائنة و مدينة في تراث الحضارة الإنسانية. وأنه ما من امة لها تاريخ مجيد إلا و قد أعطت كما أخذت من ذلك التراث»[1] و كذلك في الأدب، ليس هناك عمل أدبي تفرد بالإبداع.

ويعدّ الأدبان العربي والغربي من أبرز الأمثلة على الأدب الذي قامت بنيته على ظاهرتي التأثير والتأثّر، وهو ما سنسعى إلى معالجته في المحاور التالية من هذه الدراسة.

التأثير والتأثر بين العرب والغرب

تأثر العرب بالأدب الغربي:

إن الأدب العربي هو الآخر تأثر بالمذهب الرومانسي، بحيث «تسربت إليه الرومنطقية في بعض مراحله المعاصرة لكننا لا نعرف على وجه التحديد، من بدأ ذلك ومتى انتهى»[2]. إلا أن هناك ظروف وعوامل متعددة ساهمت في انتقال الرومانسية إلى الأدب العربي، أبرزها التأثر بالغرب عبر ترجمة ونقل الأفكار الأدبية والفكرية التي أضافت أبعادا جديدة لهذا المذهب. ولعل من أبرز هذه العوامل:

التأثر بالغرب من خلال «اتصال العرب بآداب الغرب عن طريق الترجمة والبعثات العربية إلى جامعات أوروبا، والمستشرقين والأساتذة الغربيين الذين عملوا في الجامعات العربية وعنوا بنشر الأدب الغربي بين الشباب العربي وبخاصة آداب "**شكسبير**" (Shakespeare) و"**شيلي**" (Shelley) و "**هيجو**"

[1]- عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1965م، ص179.

[2]- فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، د/ط، ص25.

(Hugo)، و **"لامارتين"** (Lamartine)، و **"أناتول فرانس"** (Anatole France)، و**"ألفريد دي موسي"** (Alfred de Moussa)، و**"جوته"** (Goethe)، وكذلك عن طريق المدارس الأجنبية التي أنشأت في ربوع الشرق العربي»[1]. مما أتاح لهم الاطلاع على «ما توصل إليه الغرب من أسرار الصياغة الشعرية ووسائل التصوير والإيماء، إضافة إلى اكتشاف أغوار النفس الإنسانية وأسرار الطبيعة، فضلا عن مواضيع الجمال ومثيرات الشجون وآلام الآمال، وهي جوانب لم يتناولها القدماء العرب بشكل معمق، بينما وصل إليها الغربيون بوضوح. وقد أثرت هذه التيارات الفكرية والعاطفية بشكل كبير في تطور الشعر العربي الحديث»[2].

تأثر الغرب بالأدب العربي :

يعد الأدب العربي من أعرق وأهم الآداب في العالم، فقد اثر في العديد من الآداب الأجنبية، فاللغة العربية تأثير كبير على الكثير من اللغات، بحيث قد أبدع أدباء العرب في مختلف فنون الكتابة وألفوا في كل من الشعر والنثر والقصة والرواية والمقالة...الخ، فالعرب منذ القدم معروفين بمهاراتهم الأدبية العالية وكتاباتهم للأشعار، حيث توارثت هذه الأعمال مع الأجيال، مما جعلهم محط فخر بين آداب الأمم. ولقد انتشر صيتهم ليصل إلى مختلف أنحاء العالم، ويكفي أن نلقي نظرة على بعض النماذج ليتضح ذلك.

1) قصة حي بن يقظان:

يعتبر **"ابن سينا"** أول من ألف رسالة فلسفية بأسلوب صوفي رمزي بعنوان رسالة حي بن يقظان. «وبعد مرور نحو مئة وخمسين عاما، قام الفيلسوف العربي **"ابن طفيل"** بكتابة رسالة أخرى تحمل نفس الاسم، مستخدما أيضا أسلوبا قصصيا رمزيا يتسم بالطابع الفلسفي»[3].

وقد «اهتمّ بها الأوربيّون فنجد آدابهم الأوروبية قد ترجمت رسالة "حي بن يقظان" لابن طفيل إلى العبرية سنة (1341م)، ثم إلى اللاتينية، والتي ترجمتها

---

[1]- حمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، ج1، ط1، 1412هـ 1992م، ص40.

[2]- نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص168.

[3]- ينظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط8، 2007م، ص185.

إليها **"بوكوك"** (E. Pococke) سنة (1671م) بعنوان **"الفيلسوف المعلم نفسه"** (Philosophus autodidactus)، ومن اللاتينية ترجمت القصة إلى الإنجليزية ، ترجمها **"جورج كيث"** (George Keith) جماعة من **"الكويكر"** لتكون مرجعا لهم في شعائرهم»[1]. هذا من ناحية الترجمة، أما من ناحية التأثير، «فإن قصة حي بن يقظان قد أثرت أولا في الكاتب الإسباني **"بالتاسار جراثيان"** (Baltasar Gracian) في فترة (1601م-1658م) وذلك في قصته التي عنوانها **"النقاد"** (Criticon)، فنجد قد ظهر الجزء الأول منها عام (1651م)، والجزء الثاني عام (1653م)، والجزء الثالث عام (1657م)»[2].

2) كليلة ودمنة:

تعدّ كليلة ودمنة، التي ترجمه عبد الله بن المقفّع عن الأصل الفارسي المترجم بدوره عن الهندية، من أبرز كتب الأدب الرمزي والقصصي في التراث العربي والإسلامي. وقد حاز هذا الكتاب اهتماما واسعا في الغرب منذ العصور الوسطى، لما يتضمنه من حكم سياسية وأخلاقية ممزوجة بأسلوب سردي رمزي يقوم على حوار الحيوان. ونلاحظ أن في حكايات كليلة ودمنة أنه غالبا ما ينسى المؤلف فيها الرموز، فيطيل الحديث عن المرموز إليهم، بحيث تنطمس أدوار الرموز في الحكاية.

ونجد الفرنسي **"لافونتين"** (La Fontaine) «يرى بأن الحكاية الخلقية على لسان الحيوان ذات جزأين، يمكن تسمية أحدهما جسما والآخر روحا، فالجسم هو الحكاية، والروح هي المعنى الخلقي»[3]. كما وقد «تأثر كذلك بالأدب العربي في كليلة ودمنة على حسب ترجمتها الفارسية، وذلك أن لافونتين (La Fontaine) كان يتردد على نادي **"مدام دي لاسابلير"** (Mme de la Sabliére) (1636م-1693م) وكان من أعضاء ذلك النادي الطبيب الرحالة **"برنييه"** (Bernir) (1620م-1688م) ، وهو الذي لفت نظر الشاعر إلى كتاب ترجم من الفارسية إلى الفرنسية عام (1644م) ، وعنوانه بالفرنسية : كتاب الأنوار ، أو أخلاق الملوك ، تأليف الحكيم الهندي بلباي بيدبا ترجمه إلى الفرنسية داوود

---

[1]- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مرجع سابق، ص185-191.
[2]- المرجع نفسه، ص191.
[3]- المرجع نفسه، ص148.

سهيد الأصبهاني ، ولكن المترجم الحقيقي لهذا الكتاب هو **"جيلبير جولمان"** (Gilbert Gaulmin) مستشار الدولة الذي كان على علم باللغات الشرقية، وقد استعان بالفارسي الذي ذكره على أنه المترجم، وذلك الكتاب الفرنسي ترجمة لكتاب **"حسين واعظ كاشفي الفارسي"**، والكتاب الأخير هذا ترجمة حرة في نثر فني لكتاب **"كليلة ودمنة"** لـ**ابن المقفع**»[1].

كما نجد لافونتين اقتبس قرابة عشرين حكاية في الجزء الثاني من حكاياته، نظمها على لسان الحيوان متأثرا بالأدب الرمزي الشرقي، وخصوصا كليلة ودمنة. وقد صرّح في مقدمة هذا الجزء قائلا: «ليس من الضروري فيما أرى أن أذكر المصادر التي أخذت عنها هذه الحكايات الأخيرة، غير أني أقول اعترافا بالجميل: إني مدين في أكثرها للحكيم الهندي بلباي، الذي ترجم كتابه إلى كل اللغات»[2].

3) قصة ألف ليلة وليلة:

"**ألف ليلة وليلة**" كما جاء في المادة المخصصة لها في الموسوعة العربية العالمية، هي: «مجموعة من الحكايات التي روتها شخصية تسمى شهر زاد للسلطان شهريار»[3].

كانت حكايات **"ألف ليلة وليلة"** لها تأثير كبير في إثراء الأدب الأوروبي من خلال العربية «ففي عام (1704م) ، أصدر الفرنسي أنطوان جالان أول جزء من ترجمته الفرنسية لقصص ألف ليلة وليلة، مفتتحا بذلك سلسلة من الترجمات والتأثيرات الأدبية التي لا تزال تتواصل حتى يومنا هذا، وشكّلت مدخلا مهما للخيال الشرقي في الأدب الأوروبي»[4]. ولقد «لاقت رواجا هائلا لا بين أوساط القراء العاديين فحسب، بل وأيضا بين كبار الأدباء»[5].

وقد «أطلق على الترجمة الإنجليزية اسما **"مسامرات الليالي العربية"** (Arabane Night Entertainment) وكانت أول ترجمة **"أدبية"** لألف ليلة وليلة من

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص156-157.
[2]- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مرجع سابق، ص156-157.
[3]- ينظر: / الأدب المقارن، جامعة المدينة العالمية، 2011م، ص235.
[4]- ينظر: ماهر البطوطي، الرواية الأم(ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية ودراسة في الأدب المقارن)، مؤسسة هنداوي، 2005م، ص47.
[5]- المرجع نفسه، ص251.

الفرنسية إلى الإنجليزية هي التي قام بها إدوارد فوستر عام (1802م) في خمسة مجلدات مع مقدمة ضافية، ثم ترجمة **"جوناثان سكوت"** عام 1811م»[1].

وبهذا «ساهمت الترجمات الأدبية العديدة التي ظهرت في اللغة الإنجليزية لألف **"ليلة وليلة"** منذ أواخر القرن الثامن عشر، في إذكاء الأثر البالغ الذي تركته حكاياتها لدى معظم أدباء وكتاب إنجلترا طوال القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين. ونجد قصيدة **"وردزوث"** البيوغرافية **"المقدمة"** مليئة بالإشارات إلى ألف ليلة وليلة ، والأثر الذي خلفته في نفسه»[2].

4) فن الموشحات:

وإلى جانب **"ألف ليلة وليلة"** هناك «فن الموشحات ذلك الجنس الشعري الذي اشتهرت به الأندلس وكانت تدور في كثير من نماذجها حول الغزل، كما كانت تخرج على النظام العروضي والقفوي التقليدي، الذي يجري على وتيرة واحدة، وزنا وقافية من أول القصيدة إلى نهايتها، حسبما هو معروف»[3].

ومن المعلوم أن «الموشحات قد ظهرت لأول مرة في بلاد الأندلس. ولهذا النوع من النظم ألوان من القافية يصعب حصرها لكثرتها وتنوعها، ابتكرها الشعراء الأندلسيون لضرورات اجتماعية وثقافية. ولم تتحرر الموشحات الأندلسية من نظام القافية التقليدي فحسب بل تحررت أيضا في بعضها من الأوزان التقليدية وان لم تحد عنها كثيرا»[4].

كما قد «تناول العقاد – رحمه الله – في بعض دراساته تأثير الموشحات الأندلسية على الشعر الغربي، مشيرا إلى ما ذكره دانتي حول شيوع نظم الشعر بالعامية في إقليم بروفانس، معتبرا إياه منشأ الشعراء الجوالين المعروفين بـ **"التروبادور"**. وقد أشار العقاد إلى رأي بعض المستشرقين في اشتقاق لفظ **"تروبادور"** من الكلمة العربية **"طرب"** أو **"طروب"**، ولفظ **"تنزو"** – وهو نوع من شعرهم – من **"تنازع"**، لكونهم يتناشدون القصائد سجالا في منافسة شعرية.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص53.

[2]- ينظر: ماهر البطوطي، الرواية الأم(ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية ودراسة في الأدب المقارن)، مرجع سابق، ص53.

[3]- / الأدب المقارن، مرجع سابق، ص253.

[4]- ينظر: محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم(الجزائر)، ط1، 2012م، ص46.

كما لفت إلى أوجه الشبه بين أوزان هذا الشعر وأوزان الزجل الأندلسي، مما يدل على تأثر الشعر الغربي بالبنية الإيقاعية والفنية للموشحات والزجل في الأندلس»[1].

أم الدكتور **"محمد غنيمي هلال"** في كتابه الأدب المقارن فنجده «يبرز أثر الموشحات الأندلسية في شعر التروبادور، من حيث المضمون العاطفي القائم على خضوع المحب، ومن حيث البناء الموسيقي، لاسيما اعتمادهم سبع مقطوعات في القصيدة، وهو ما يتوافق مع البنية الغالبة في الموشحة، مما يدل على تأثير واضح في الشكل والمحتوى»[2].

ولم يقتصر تأثير الأدب العربي والشرقي على بنية الآداب الأجنبية فحسب، بل امتد ليشمل التأثير المباشر وحتى الغير مباشر في عدد من الأدباء الغربيين البارزين. ومن بين هؤلاء نذكر:

***دانتي أليغييري:** لقد «حظي موضوع المصادر العربية والإسلامية في **"الكوميديا الإلهية"** لـ**"دانتي"** (Dante) باهتمام كبير من جانب المقارنين العرب، وكانت **"رسالة الغفران"** لأبي العلاء المعري وقصة **"الإسراء والمعراج"** أهم المصادر التي سعى المقارنون العرب لإثبات تأثر دانتي بها. فقد صدرت عدة دراسات حول هذا الموضوع، مما جعل منه مركز استقطاب لبحوث التأثير العربية»[3].

***تيوفيل غوتيه:** كان غوتيه «متأثرا بشكل كبير بالمناظر الشرقية التي شاهدها أو قرأ عنها، خاصة من خلال أعمال الرسامين المستشرقين الذين صوروا مشاهد من الشرق مثل مصر وآسيا الصغرى وقسطنطينية، مثل رسومات بروسبير ماريلاه التي أثرت فيه كثيرا وجعلته يشعر بالحنين إلى الشرق. كما تأثر بالأندلس الإسلامية، وزار قصر الحمراء الذي شكل مصدر إلهام له في أشعاره ووصفه للشرق، وقد قام غوتيه برحلات إلى الجزائر في القرن التاسع عشر، حيث كتب عنها كتابا بعنوان "رحلة إلى الجزائر"، وقد

---

[1]- / الأدب المقارن، مرجع سابق، ص255.

[2]- / الأدب المقارن، مرجع سابق، ص256.

[3]- ينظر: عبده عبود، الأدب المقارن- مشكلات وآفاق، اتحاد الكتاب للعرب، ج10، 1999م، ص37.

صدرت ترجمته العربية حديثا، وهو يعبر في كتاباته عن إعجابه بالمناظر والطبيعة والثقافة العربية هناك»[1].

***موليير:** كشف الباحث الفرنسي جان بروفو في كتابه **"أسلافنا العرب. ما تدين به اللغة الفرنسية لهم"** «أن اللغة العربية ساهمت بشكل غني في إثراء اللغة الفرنسية، بما في ذلك في زمن موليير (القرن السابع عشر). هذا التأثير جاء عبر الكلمات والمصطلحات التي دخلت الفرنسية عن طريق التبادل الثقافي والتجاري في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك عبر الحضارة العربية المزدهرة التي امتدت من دمشق وبغداد إلى قرطبة وغرناطة»[2].

نجد بروفو يشير في كتابه إلى أنّ العربية أسهمت في إغناء اللغة الفرنسية، وامتد تأثيرها إلى مجالات كالعلم والفن والثقافة، ما يجعل من المرجّح أن كتّابا كبارا كموليير عبّروا بلغة تأثرت بالعربية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

***فيكتور هيجو:**

نجد الروائي علي بدر يقول عن هيجو بأنه: «من أبرز الشعراء الذين تناولوا العالم العربي والإسلامي شاعر كتب عن نابليون خلال حملته على مصر، مصورا إيّاه واقفا على النيل كالسيف. اعتبر الشرق موطن الروحانية في مقابل مادية الغرب، وآمن بإمكانية التقائهما لإنتاج تجربة إنسانية مثلى. ورأى في الشخصية العربية قدرة على بناء مجتمع مثالي يقوم على الخدمة والسعادة، مستلهما صورته عن الشرق من أدب الرحلات رغم عدم زيارته الفعلية له.»[3].

ولعل ذلك يظهر في ديوانه الشهير **"الشرقيات"**

وسنتناول في الفصول التالية بالدراسة هذا الأخير **"فيكتور هيجو"**، وسنتحدث عن كلّا من بالثقافة العربية والإسلامية، وتأثيره العميق في عدد من الأدباء العرب، في إطارٍ من التحليل الشامل والتوثيق النصي.

---

[1]- ينظر: خالد بن صالح، فنان ومكان... تيوفيل غوتييه ورحلته إلى الجزائر، المجلة العربية، 31 يوليو 2021م - 12:17.

[2]- ينظر: / جون بروفو يقتفي تأثير اللغة العربية على لغة موليير، مجلة فنانة، 8 يناير 2022م - 19:11.

[3]- حنان العتّال: نقاد(فيكتور هيجو آمن بأن الشخصية العربية قادرة على تكوين الفردوس)، جريدة الغد مصر، الاثنين 25 تموز 2011م

الفصل الأول

تأثر فيكتور هيجو بالثقافة العربية

تمهيد

المبحث الأول: دراسة في ديوان الشرقيات (المضمون الشعري):

أولا: دراسة ديوان الشرقيات

ثانيا: تجليات الشرق في الديوان

المبحث الثاني: تأثر وإعجاب فيكتور هيجو بالعالم الشرقي والإسلامي:

أولا: رؤى فيكتور هيجو حول الشرق

ثانيا إعجاب فيكتور هيجو بالأمير عبد القادر والمتنبي

الفصل الأول: تأثر فيكتور هيجو بالثقافة العربية

المبحث الأول: دراسة في ديوان الشرقيات (المضمون الشعري)

تمهيد:

يعدّ فيكتور هيجو من أبرز الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، ويعرف بانتمائه إلى التيار الرومانسي الذي ترك بصمة واضحة في مسيرته الأدبية. وقد وجد في عالم الشرق مصدر إلهام غني، أسهم في توسيع آفاق خياله ومنحه حرية التعبير الإبداعي، مما انعكس في إنتاجه لأعمال أدبية متميزة. ويتجلى هذا التأثير الشرقي بوضوح في ديوانه "**الشرقيات**"، الذي أصدره عام (1829م)، ويعد من أبرز نتاجاته خلال المرحلة الرومانسية، وقد تناول هذا الديوان عدة مواضيع من بينها(المرأة والرجل والمدن)، وقد كانت هذه المواضيع الثلاث في السياق الشرقي، مركزة على الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تشكل ملامح الهوية والانتماء في المجتمعات الشرقية، كما وقد عبّر هيجو في بعض أعماله عن رؤيته تجاه الشرق، مشيدا بإبداع أحد الشعراء العرب إلى درجة أنه اقتبس بعض أبياته وأدرجها ضمن نصوصه الأدبية، وهذا ما سنتناوله في ما يلي:

أولا: دراسة ديوان الشرقيات

وضع فيكتور هيجو بصمته الأولى على الشعر الفرنسي من خلال ديوانه **"الشرقيات"** سنة (1829م)، «ولاسيما أنّ الإستشراق الرومانسي قد شهد خلال هذه الفترة ازدهارا غير مسبوق، تميّز بتضاعف الاهتمام بالشرق وتجلياته الفنية والأدبية، مما أسهم في بلورة صورةٍ جديدةٍ عنه داخل الخطاب الغربي»[1]، وهيجو يعدّ من أبرز هؤلاء الذين استلهموا من الشرق مصادر إبداعهم الأدبي والفني، «غير أن هذا الإستشراق لم يشكل في إبداعهم اتجاها فنيا أو منبعا للإلهام بقدر ما هو **"موضة"** عابرة أثارها الاهتمام الكبير الذي أبداه الجمهور الفرنسي بالحرب التحررية اليونانية»[2]، وقد «ابتعد فيكتور عن نظم شعر المناسبات، موجها اهتمامه نحو بناء الصور الشعرية المبتكرة، كما وقد

[1]- ينظر: زينات بيطار، الإستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، ع157، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1992م، ص181.
[2]- المرجع نفسه، ص123.

لجأ إلى توظيف الغريب والمثير للدهشة تحقيقا لرغبته في تقديم الجديد الذي يستأثر بانتباه القارئ ويلبي تطلعاته. كما أضاف إلى ديوانه ملاحظات ومختارات مترجمة من الشعر العربي»[1]. مما يعكس انفتاحه على ثقافات أدبية أخرى واستلهامه لمصادر متعددة في إثراء تجربته الشعرية، «وعلى الرغم من أنه لم يرحل إلى الشرق. كما رحل لامارتين وفلوبير وشاتوبريان، ولكنه رحل إلى إسبانيا مرتين: (1811م) ثم (1843م)، وعلى الرغم من أن هذه الرحلة لم تكن مرتبطة بالشرق ارتباطا مباشرا، إلا أن معرفته به تمت أولا عبر مجموعة من الكتّاب والأدباء الذين كان لهم تأثير بالغ عليه، وأثاروا إعجابه الشديد، وعلى رأسهم شاتوبريان ولامارتين»[2]، كما «وأنه يتبيّن من خلال تحليل آثاره الأدبية، وعلى رأسها **"ديوان الشرقيات"**، أنه كان مطّلعا اطلاعا واسعا على آداب الشرق، بحيث استلهم موضوعاته وصوره الفنية من التراث الشرقي»[3]، مما يدل على عمق تأثره بهذه الثقافات وانعكاسها في نتاجه الأدبي.

ونجد عند اطلاعنا على هذا الديوان أن هيجو قد كتبه في (156صفحة)، وأورد فيه واحدا وأربعين قصيدة نذكرها على التوالي:

1/ نار السماء	Le feu du ciel
2/ الكناري	Canaris
3/ رؤوس السرايا	Les têtes du sérail
4/ الحماسة	Enthousiasme
5/ نافارين	Navarin
6/ صيحة الحرب للمفتي	Cri de guerre du mufti
7/ ألم الباشا	La douleur du pacha
8/ أغنية القراصنة	Chanson de pirates
9/ الأسيرة	La captive
10/ ضوء القمر	Clair de lune

[1]- نادية دحماني: أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 12ماي 2024م، ص195.

[2]- ينظر: حسن الإمراني، المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، مؤسسة الرسالة، ص333.

[3]- المرجع نفسه، ص ن.

11/ الحجاب	Le voile
12/ السلطانة المحظية	La sultane favorite
13/ الدرويش	Le derviche
14/ القلعة المحصنة	Le château-fort
15/ المسيرة التركية	Marche turque
16/ المعركة الخاسرة	La bataille perdue
17/ الوادي الضيق	Le ravin
18/ الطفل	L’enfant
19/ سارة المستحمّة	Sara la baigneuse
20/ الانتظار	Attente
21/ لازّارا	Lazzara
22/ أمنية	Vœu
23/ المدينة المأخوذة	La ville prise
24/ وداع المضيفة العربية	Adieux de l'hôtesse arabe
25/لعنة	Malédiction
26/ أقسام الثعبان	Les tronçons du serpent
27/ نورمحلّ الصهباء	Nourmahal-la-Rousse
28/ الجنّ	Les djinns
29/ السلطان أحمد	Sultan Achmet
30/ الرومانسية المغربية	Romance mauresque
31/غرناطة	Grenade
32/ الزهرات الزرقاء	Les Bleuets
33/أشباح	Fantômes
34/مازيبّا	Mazeppa
35/ الدانوب الغاضب	Le Danube en colère
36/أحلام اليقظة	Rêverie
37/النشوة	Extase

38/ الشاعر إلى الخليفة Le Poëte au calife

39/ السلطان بونابردي Bounaberdi

40/ هو Lui

41/ نوفمبر Novembre

«وقد ذكر أن رياض المعلوف قد اعترف في رسالة أرسلها إلى صابر عبد الدايم في يوم 10 من شهر مايو سنة (1978م)، متحدثا فيها عن القصائد التي أتت على نظام الموشحات، وكان الدليل على هذا التأثر بالموشحات الشاعر الفرنسي الشهير فيكتور هيجو، حيث أنه نسج على منوالها بتعدد القوافي والأوزان، وقد كان ديوان **"الشرقيات"** دليلا ساطعا على ما يقوله، وفخر لهم كشرقيين أن يتأثر بهم كهؤلاء الشعراء العظام في العالم»[1]. كما وقد «افتتح ديوانه بمقدمة عبّر فيها هيجو عن إتباعه لروح الاستبطان التي انتشرت حينها، كما وشرح فيه دوافع هذه الوجهة الشرقية»[2]، بعد أن كانوا في عهد لويس الرابع عشر يهتمون بالآداب اليونانية والرومانية، ونجد هيجو «قد عبّر في هذه الفترة قائلا: كنا في عصر لويس الرابع عشر هيلينيين أما الآن فنحن استشراقيون»[3].

ثانيا: تجليات الشرق في الديوان

تناول فيكتور هيجو في ديوانه الشرقيات مجموعة من الموضوعات المرتبطة بالشرق، من بينها موضوعات الرجل، والمرأة، والمدن. وانطلاقا من هذا التنوع الموضوعاتي، اخترنا لكلا من موضوعي الرجل الشرقي والمرأة الشرقية قصيدتين، ما عدا موضوع المدن الشرقية فقد اكتفينا بقصيدة واحدة، وهدفنا من وراء اختيارنا لهذه القصائد تحليلها والكشف عن الملامح الشرقية التي تتجلى فيها.

أ) النساء الشرقيات:

[1]- ينظر: صابر عبد الدايم، الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ط2، 2003م، ص172-173.

[2]- Victor Hugo: Victor Hugo, Œuvres complètes, Poésie II: Les Orientales, Les feuilles d'automne, éd: Hetzel-Quantin, Paris, Non daté. Préface des Orientales, éd. originale, 1829, P. 3 - 9.

[3]- زينات بيطار: الإستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، مرجع سابق، ص123.

عند اطلاعنا على هذا الديوان الشعري، «نلاحظ وجود ستّ قصائد تتناول الشخصية النسائية، حيث تتصدر أربع منها بشكل متتالٍ، وهي: **"الأسيرة"**، و**"ضوء القمر"**، و**"الحجاب"**، و**"السلطانة المحظية"**، بينما تظهر شخصيتان نسويتان أخريان في قصيدتين منفصلتين هما: **"سارة المستحمة"**، و**"وداع المضيفة العربية"**»[1]. وقد عمدنا لاختيار قصيدتين من بين هذه القصائد الشعرية، مع التركيز على تحليل الأبيات التي تعكس الملامح الشرقية.

1) وداع المضيفة العربية Adieux de l'hôtesse arabe:

تمثل قصيدة **"وداع المضيفة العربية"** «النموذج الأبرز في تجسيد حلم الشاعر بامرأة شرقية مثالية، مع الحفاظ على صورة نمطية تقليدية. فالشخصية النسائية هنا تصور كامرأة بدوية تعيش في عمق الصحراء، بعيدا عن مراكز الحضارة العثمانية وما يرمز إليه من فساد وقيم مدنية منحلّة. وما إن يمر بها فارس أوروبي. يتميز بصفاته **"البيضاء"** التي تحمل دلالات تفوق حضاري حتى تفصح عن مشاعرها العاطفية الجياشة نحوه، معبّرة عنها من خلال قصيدة الوداع، والتي تتنبأ بمخاطر الطريق وتستحضر عالما غرائبيا تتجاوز كائناته قوى البشر. أما شخصية الفارس الأوروبي، فتجسد النموذج المثالي الذي تتوق إليه الذات الشاعرة، حيث تقدم الصحراء كفضاء للحرية والمغامرة»[2].

والآن سنختار بعض أبيات من هذه القصيدة ونقوم بتحليلها، مركزين على استخراج الملامح الشرقية فيه:

وداع المضيفة العربية «Adieux de l'hôtesse arabe»[3]

«Puisque rien ne t'arrête en cet heureux pays,
Ni l'ombre du palmier, ni le jaune maïs,
Ni le repos, ni l'abondance,
Ni de voir à ta voix battre le jeune sein
De nos sœurs, dont, les soirs, le tournoyant essaim
Couronne un coteau de sa danse,»[1]

[1]- ينظر: معجب بن سعيد الزّهراني، مقالات نقدية (الشّرق والشّرقيون في ديوان فيكتور هيجو)، 1421ه-2001م.

[2]- ينظر: المرجع نفسه.

[3]- Victor Hugo: Les Orientales, P:149-152.

إذ لا شيء يعيقك في هذه الأرض السعيدة،
لا ظلّ النخيل، ولا ذهب الذّرة الصّفراء،
لا الرّاحة، ولا الخصب الوفير،
ولا رؤية النّهد الفتيّ يخفق عند ندائك،
كأخواتٍ لنا، يتوج سربهنّ الدوّار – كلّ مساءٍ –
تلّا برقصهنّ الوثّاب.

-في البيت الثاني، يلاحظ توظيف الشاعر لمجموعة من الرموز الزراعية ذات الطابع الشرقي(الإفريقي)، والتي تحيل دلاليا إلى بيئات الواحات أو المناطق ذات المناخ الدافئ، كما يتجلى في استخدامه لرمزية النخيل والذرة الصفراء. بينما ينتقل في البيتين الخامس والسادس إلى تصوير أنثوي تقليدي ذي مرجعية شرقية، حيث يستحضر من خلال عبارة **"أخواتنا اللاتي يتوّجن التلال برقصة المساء"** طقسا احتفاليا يعكس الموروث الثقافي للمجتمعات البدوية الشرقية. هذا الانتقال الرمزي من الدلالة الزراعية إلى الطقسية يشكّل تناصا ثقافيا يعمق الأبعاد الأنثروبولوجية للنص.

«Ce mont noir qui de loin semble un dos de chameau;»[2]

هذا الجبل الأسود الذي من بعيدٍ يشبه سنام جملٍ

-يستخلص من هذا البيت تشبيه استعاري كلاسيكي ذو مرجعية صحراوية، حيث يقارب الشاعر " **بين الجبل وظهر الجمل"** ، في صورةٍ تعكس الانزياح الأسلوبي المتجذر في المخيال الثقافي للبادية. هذا التشبيه لا يقتصر على بعده الجمالي فحسب، بل يحمل دلالات أنثروبولوجية تبرز التفاعل الحميم بين الإنسان الصحراوي وبيئته، إذ تجسّد المقاربة بين ثبات الجبل وحركية الجمل ثنائية ثقافية تتناغم مع الرؤية الكونية للمجتمعات البدوية.

«Aux filles du désert, sœurs à la douce voix,
Qui dansent pieds nus sur la dune;»[3]

إلى بنات الصّحراء، الأخوات ذوات الأصوات الرّقيقة،

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 152
[2]- Ibid, P: 151.
[3]- Ibid, P: 152.

اللواتي يرقصن حافيات الأقدام على الرّمل؛

يتجلى في هذين البيتين تصوير شعريّ تنضح به الروح الشرقية، حيث يبرز الشاعر مشهد نساء الصحراء وهنّ يرقصن حافياتٍ على الكثبان الرملية، هذه الصورة لا تخلو من بعدٍ نمطيٍ يعكس الحياة البدوية بتقاليدها الموروثة، إلا أنها تضفي عليها بعدا جماليا من خلال التركيز على ثنائية الرقة والحرية؛ فـ"**الصوت الرقيق**" يجسد لطافة الأنثى في المخيال الشرقي، بينما "**الرقص على الرمال**" يحيل إلى حالة التحرر والاندماج مع الفضاء الصحراوي الواسع. وهكذا، يتحول المشهد من مجرد وصف خارجي إلى رمزٍ ثقافي يحمل في طياته قيما جمالية واجتماعية متجذرة في الذهنية الشرقية.

«De l'Arabie infranchissable;
De la vieille qui va seule et d'un pas tremblant;
Et de ceux qui le soir, avec un bâton blanc,
Tracent des cercles sur le sable!»[1]

من شبه الجزيرة العربية التي لا تجتاز،
ومن العجوز التي تسير وحدها بخطى مرتعشة،
ومن أولئك الذين يرسمون بالعصا البيضاء مساء،
دوائر على الرمال!

يتجلى في هذه الأبيات بناء رمزي يعكس ثنائية الغموض والجمال في الموروث الثقافي الشرقي، ففي البيت الأول، تستحضر شبه الجزيرة العربية كفضاء جغرافي أسطوري، تحمّل دلالات العبور المستحيل والجمال الموحش، مما يضفي عليها طابعا وجوديا يتجاوز الوصف المادي إلى بعدٍ ميتافيزيقي. أما في البيتين الثالث والرابع، فيبرز مشهد "**الرسم بالعصا على الرمل**" كإيماءةٍ غامضة تحتمل تأويلات متعددة. فقد تقرأ في إطار الممارسات السحرية (كالعرافة أو الطرد الروحي)، أو كتعبير عن طقوس بدوية غامضةٍ متجذرةٍ في الفلكلور الشرقي والإفريقي. هذا المشهد لا يقتصر على كونه عنصرا وصفيا، بل يتحول إلى علامة ثقافية تختزل العلاقة بين الإنسان والطبيعة في سياق

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 152.

أسطوري، حيث تصبح الحركة البسيطة كـ"**الرسم على الرمل**" فعلا طقوسيا يحمل أبعادا ميتافيزيقية ودلالات أنثروبولوجية عميقة.

2) الحجاب Le voile :

في قصيدة "**الحجاب**"، «يقدّم مشهد درامي يعكس صراعا بين الحرية الفردية والقمع الجماعي في سياق شرقي محافظ، وقد وردت القصيدة على شكل حوار بين المرأة وإخوتها، تصور البطلة "**الفتاة الشرقية**" وهي تعود من الحمام، حريصة على تجنب "**عيون الأجانب والكفار**"، مما يبرز هاجس المراقبة المجتمعية المسيطر على جسد الأنثى. إلا أن تدخلا مفاجئا للطبيعة (نسمة هواء) يزيح الحجاب عن وجهها، ليحوّل اللحظة البريئة إلى فضيحة أخلاقية في عيون الذكور المحيطين بها»[1]:

الحجاب «Le voile»[2]

«Cachée aux regards téméraires

Des giaours et des albanais.

En passant près de la mosquée

Dans mon palanquin recouvert,

L'air de midi m'a suffoquée:

Mon voile un instant s'est ouvert»[3].

محجوبة عن أنظار الوشاة الجريئين،

من الجياور والألبان.

وأنا أمرّ بجانب المسجد،

في هودجي المغطّى،

أختنق من حرّ الظّهيرة:

فانحسر حجابي لبرهةٍ.

---

[1]- ينظر: معجب بن سعيد الزّهراني، مرجع سابق.

* الجياور(giaours): هو مصطلح قديم استخدمه المسلمون في الإمبراطورية العثمانية للإشارة إلى غير المسلمين، خاصة الأوروبيين.

* الهودج: هو المحمول الذي كانت تستعمله النساء.

[2]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 85-88.

[3]- Ibid, P: 87.

يبرز النص من خلال أبياته تمظهرات المجتمع الإسلاميّ متعدد الأعراق والثقافات، حيث يستهلّ بالانزياح التاريخيّ عبر ذكر **"جياور"** (الكفار) و**"الألبان"** (في إشارة إلى العثمانيين أو الأتراك)، مما يضيء على التعددية الثنائية التي شكلت نسيج المجتمعات الشرقية تحت الحكم العثمانيّ.

ثمّ ينتقل إلى تجسيد البيئة الإسلامية التقليدية عبر رمزية "المسجد" في البيت الثالث، الذي لا يمثل مجرد مكانٍ للعبادة، بل يجسّد مركزية الدين في تشكيل الهوية الحضارية. وفي البيت الرابع، يظهر **"المحفّة"** (المحمول الشرقيّ) كعلامة ثقافية تبرز العادات الاجتماعية المتعلقة بعزل النساء، وفق الأعراف السائدة في تلك المجتمعات.

أما البيت السادس، فيقدم **"الحجاب"** ليس كغطاء مادي فحسب، بل كرمز ثقافي يختزل مفاهيم الشرف والحياء في المنظومة القيمية الشرقية.

هكذا يشكّل النصّ لوحة أنثروبولوجية تعكس التداخل بين الدين والأعراف والتقاليد في تشكيل البنى الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية التاريخية، مع إبراز الثنائيات بين التعددية العرقية والهوية الدينية الموحدة.

«Un homme alors passait ? Un homme en caftan vert?»[1]

وإذا برجلٍ يعبر - رجلٍ يرتدي قفطانا أخضر –

-يبرز البيت ملمحا من الملامح الثقافية الشرقية من خلال ذكر **"القفطان الأخضر"**، الذي لا يقتصر دلالته على كونه زيّا تقليديا فحسب، بل يتعدّاه إلى حمولةٍ دينيةٍ ورمزيّةٍ عميقة، فـ**"اللون الأخضر"** مقدّس في الثقافة الإسلامية لارتباطه بالجنّة والنبيّ (ﷺ)، يضفي على المشهد بعدا روحيا، ويحوّل اللباس من مجرّد غطاءٍ جسديّ إلى علامةٍ دينيةٍ واجتماعية.

هذه الإشارة تبرز التفاعل الوثيق بين المظهر الخارجيّ والقيم الدينية في المجتمعات الشرقية، حيث يصير الزيّ تعبيرا عن الهوية الثقافية والدينية في آنٍ واحد. كما تظهر كيف تندمج الرموز الدينية في الحياة اليومية، فـ**"القفطان الأخضر"** يحمل في طيّاته تجلّيات القداسة والانتماء إلى حضارةٍ تؤطّرها العلاقة الوثيقة بين الدّين والمجتمع.

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 88.

«Le soleil était rouge à son coucher ce soir»[1].

غربت الشّمس حمراء ذاك المساء

يتجلى في هذا البيت توظيف رمزيّ لعناصر الطبيعة، حيث يستدعى **"غروب الشمس الأحمر"** لحمل دلالات تتجاوز الوصف الحسّي إلى الإيحاء بفكرة القصاص. هذا الأسلوب التصويري يعدّ سمة جمالية راسخة في الشعر الشرقي، الذي يعتمد على تحويل الظواهر الطبيعية إلى استعاراتٍ ثقافيةٍ ودلالاتٍ أخلاقية.

فـ**"اللون الأحمر"** هنا لا يشير فقط إلى الجانب البصري للغروب، بل يتحول إلى علامةٍ على العنف والانتقام، في إطار الانزياح الدلالي الذي يميز الخطاب الشعري الشرقي. كما يظهر هذا التوظيف مدى اندماج الرؤية الكونية الشرقية مع البيئة الطبيعية، حيث تصبح الظواهر الفلكية تعبيرا عن المفاهيم الاجتماعية والأخلاقية.

هذا الأسلوب يعكس أيضا البعد التراثي للشعر الشرقي الذي غالبا ما يجعل من العناصر الطبيعية وسيلة للتعبير عن القيم الإنسانية والاجتماعية، مما يضفي على النصّ طبقاتٍ تأويلية متعددة.

أ) الرجال الشرقيون:

أشار هيجو في مواضع متعددة إلى عدد من الرجال الشرقيين، وقد وقع اختيارنا على قصيدتين من الديوان لتحليلهما، مع التركيز على استخراج الأبيات التي تتجلى فيها الملامح الشرقية بوضوح:

1) بونابردي Bounaberdi:

«تحدّث **"فيكتور هيجو"** في قصيدته **"بونابردي"** (Bounaberdi) بلسان فارس عربي يهجر مدينة القاهرة ليعيش حرا في الصحراء مع حصانه، وهناك يتغنى ببطولة **"سلطان الفرنجة"** الذي لم يعد قائدا عسكريا غازيا وعدوا بل **"فارسا"** مثله يثير الإعجاب ببطولته الخارقة ولذا يخاطبه بقوله:

أوه! حينما تعود لتحلم فوق هذا الجبل

تمهل قليلا وأنت تعبر الريف يا بونابردي

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 88.

سترى خيمتي الشاحبة فوق الرمال الثائرة
لأنني حر وفقير، عربي من القاهرة
حين أقول لحصاني: يا الله! يطير الحصان الأصيل
وتحت حاجبيه جمرتان متقدتان»[1].

وقد «صوّر هذه الأحداث في قصيدة قصيرة وجميلة في الوقت نفسه سماها **"بونابردي"** (Bounaberdi)». وفيما يلي سنختار بعض الأبيات من هذه القصيدة لتحليلها واستخراج الملامح الشرقية التي تتجلى فيها:

بونابردي «Bounaberdi»[2]

«Que comme un noir manteau le semoun enveloppe,»[3]
وكما يغطّي العباءة السّوداء السّموم

-تمثّل كلمة **"السموم"** (semoun) وهي الريح الصحراوية الجافة والحارّة أحد أبرز الرموز الطبيعيّة المرتبطة بالبيئة الشرقيّة، حيث تستحضر كصورةٍ دالّةٍ على قسوة المناخ الصحراوي وخصوصيته في المشرق العربي. ويعدّ توظيف هذا المصطلح في النصّ الشعريّ إحالة إلى الموروث الثقافيّ والجغرافيّ للمنطقة، مما يعمّق الأبعاد المكانيّة والدلاليّة للقصيدة، ويعزّز طابعها الشرقيّ المتميّز.

«À sa droite couché, le désert qui le fête
D'un nuage de poudre importune ses yeux»[4].
وعن يمينه متمدّد، الصحراء التي تحييه
بسحابةٍ من غبارٍ تزعج عينيه.

يتضح من خلال هذين البيتين تصوير الصحراء - بوصفها أحد أبرز الرموز الجغرافية والثقافية في المشرق - ككائنٍ حيٍّ يبدي مشاعر الاحتفاء تجاه الإمبراطور، مما يضفي طابعا تشخيصيا على العناصر الطبيعية. ويبرز هذا الوصف الانزياح الأدبيّ في التعامل مع المكونات البيئية، حيث تقدّم الرياح

[1]- معجب بن سعيد الزّهراني، مرجع سابق.
[2]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 233-236.
[3]- Ibid, P: 235.
[4]- Ibid, P: 235.

الرملية في صورة "**غيمة من الغبار**" كأداةٍ تعبيريةٍ تحيل إلى الحركة والديناميكية، مما يعمّق الإحساس بالتفاعل بين الإنسان والفضاء الشرقيّ.

Car je suis libre et pauvre, un arabe du Caire,«
Et quand j'ai dit : Allah ! Mon bon cheval de guerre
Vole, et sous sa paupière a deux charbons ardents!»[1].

فأنا حرّ وفقير، عربيّ من القاهرة،
وحين قلت: الله! حصاني الحربيّ الأصيل
يحطّ الرّيح، وتحت جفونه جمرتان متّقدتان!

-يتجلى في هذا المقطع توجّه لغويّ وثقافيّ ذو بعدٍ هوياتي واضح، حيث ينطق الشاعر بلسانٍ عربيٍّ أصيل يعكس الخصوصية الحضارية للمنطقة، حيث يعرف الشاعر ذاته بـ"**عربي من القاهرة**"، ثم نجد استخدام لفظ الجلالة "**الله**" والذي يشكل علامة دينية وثقافية تؤكّد الانتماء إلى الموروث الإسلامي العربي. أما "**الحصان**" بوصفه رمزا للفخر والفروسية في التراث العربي - فيمثّل استحضارا مقصودا للقيم العريقة المرتبطة بالهوية العربية. وتأتي صورة "**جمر العيون**" كإحالةٍ جماليةٍ تواصل حوارا بين النص والموروث الشعري الجاهلي الذي اشتهر بدقّة وصفه للخيل، مما يضفي على القصيدة بعدا تراثيا متجذّرا.

«Ma tente qui blanchit dans les sables grondants»[2].

خيمتي التي تبيضّ بين الرّمال الزّاخرة

تبرز هذه الصورة الشعرية ملامح الشرق من خلال رموز ذات دلالة ثقافية ومعنوية عميقة؛ فـ"**الرمال الصاخبة**" تشير إلى قسوة الصحراء الشرقية واتساعها، بينما تجسّد "**العمّة**" البعد العائلي التقليدي واحترام كبار السنّ في الثقافة الشرقية، ويأتي "**اللون الأبيض**" كرمز للشيب المرتبط بالحكمة والزهد والحزن الصامت الذي تضفيه بيئة الصحراء على الشيخوخة..

2) الشاعر إلى الخليفة Le Poète au calife:

سنقوم في مايلي باختيار أبيات من هذه القصيدة ونقوم بتحليليها هي الأخرى واستخراج الملامح الشرقية فيه:

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 236.
[2]- Ibid, P: 236.

شاعر الخليفة «Le Poète au calife»[1]

Ô sultan Noureddin, calife aimé de Dieu«!

Tu gouvernes, seigneur, l'empire du milieu,

De la mer rouge au fleuve jaune»[2].

يا سلطان نور الدين، الخليفة المحبوب عند الله!

إنك تحكم يا سيدي إمبراطورية الوسط،

من البحر الأحمر إلى النهر الأصفر.

يتجلّى في البيت الأول من القصيدة استخدام الشاعر لمجموعة من الرموز ذات الدلالات السياسية والدينية المتمثلة في "**السلطان**" و"**نور الدين**" و"**الخليفة**"، والتي تستمدّ مرجعياتها من الموروث الثقافي الإسلامي الشرقي. ثمّ ينتقل الشاعر في البيت الثالث إلى تصوير امتداد جغرافي واسع يمتدّ من البحر الأحمر إلى النهر الأصفر، وهو امتداد يحيل – رمزيا – إلى الرقعة الجغرافية للعالم الشرقي الممتدّ من الجزيرة العربية إلى شرق آسيا، مما يعكس رؤية شمولية للفضاء الحضاري الشرقي.

«Ton sérail est très grand, tes jardins sont très beaux.

tes femmes ont des yeux vifs comme des flambeaux,

Qui pour toi seul percent leurs voiles»[3].

حرملك فسيح، وحدائقك رائعة،

ونساؤك لهن عيون كالمصابيح الحادة،

تخترق حجابها لأجلك وحدك.

في البيت الأول، يلاحظ حضور عنصر "**السيراي**" (Sérail) الذي يشير إلى الحرملك أو القصر النسائي، إلى جانب الحدائق، وهو تمثيل نمطي للترف الشرقي الذي طالما ارتبط بالتصوير الأدبي للقصور العثمانية والفارسية. أما في البيتين الثاني والثالث، فيتجلّى الانزياح نحو تصوير النساء المحجبات داخل فضاء الحريم، مع التركيز على الحجاب كرمزٍ للعفة والخصوصية. كما يبرز

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 229-231.
[2]- Ibid, P: 231.
[3]- Ibid, P: 231.

الشاعر سحر أعينهنّ التي لا تكشف إلا للسلطان، مستخدما تشبيها بلاغيا يقاربها بـ**"المشاعل"** في إشارةٍ إلى جمالها الآسر واتساعها. هذه الصور تعتبر من الثيمات المتكررة في الشعر الشرقي الكلاسيكي، والتي تعكس المثل الجمالية والاجتماعية السائدة في تلك الحقبة التاريخية.

«Ton front porte une aigrette et ceint le turban vert.
Tu peux voir folâtrer dans leur bain, entr'ouvert
Sous la fenêtre où tu te penches,
Les femmes de Madras plus douces qu'un parfum,
Et les filles d'Alep qui sur leur beau sein brun
Ont des colliers de perles blanches»[1].

جبينك يحمل العمامة الخضرا ويزهي ريشة تتوّج الرّأسا
وترى من شبّاكك المشروع للنّظر
بنيّات مدرس، ألين من العطر،
يلعبن بماء الحمّام سربا،
وفتيات حلب، يتدلّى على صدورهنّ البنيّة
عقد الدّرّ يزهو كالنّجوم الوضاءا.

في البيت الأول، يبرز الشاعر استخدام رموز الزينة الشرقية، مثل **"الريش"** و**"العمامة الخضراء"**، والتي تحمل دلالات تاريخية وثقافية عميقة، إذ ترتبط بمظاهر السلطة والهيبة في التراث الإسلامي، لاسيما في سياق رموز الخلفاء والملوك. أما في البيت الثاني، فينتقل إلى تصوير المشهد الحيّوي للحمامات الشرقية التقليدية، مصوّرا حضور النساء فيها، مما يعكس جانبا من الحياة الاجتماعية اليومية في المشرق. ويواصل الشاعر توظيف الرموز الجغرافية في البيتين الرابع والخامس، حيث يذكر مدينتي **"مدراس"** الهندية و**"حلب"** السورية، مؤكدا من خلالهما على التنوع الثقافي والحضاري الذي تميزت به المنطقة الشرقية، مما يعمق أبعاد النص ويثري دلالاته.

«Ton sabre large et nu semble en ta main grandir.
Toujours dans la bataille on le voit resplendir,

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 231-232.

Sans trouver turban qui le rompe,
Au point où la mêlée a de plus noirs détours,
Où les grands éléphants, entre-choquant leurs tours,
Prennent des chevaux dans leur trompe»[1].

سيفك العريض العاري يبدو وكأنّه يتطاول في كفّك الجرء الأشدّاء،
وإنّه ليبهر في وقعة الكرّ والفرّ،
لا يعثر له على عمامةٍ تكسر صمصامه،
حتّى إذا اشتدّت الهجمة والتأت الدّجنّة،
حيث الفيلة العظام تصطدم أبراجها،
وتخطف الخيل بخرطومها الضّخم السّاحر!

في البيت الأول، يصور الشاعر السيف العريض اللامع، الذي يعدّ أحد الرموز البارزة في تراث الفروسية الشرقية، ثم يختتم أبياته باستحضار صورة الفيلة في ساحات القتال، وهي سمة تميز الجيوش الآسيوية التقليدية، ولاسيما في المناطق التاريخية كالهند وبلاد فارس، حيث ارتبط استخدامها بالحروب والاستعراضات العسكرية منذ العصور القديمة.

ب)المدن الشرقية:

إن هيجو لم يكتفي بذكر موضوعين شرقيين (النساء الشرقيات)، و(الرجال الشرقيون)، بل تعدى ذلك حتى وجدناه يتحدث في موضوع (المدن الشرقية)، وقد اكتفينا باختيار قصيدة واحدة في هذا الموضوع الشرقي، وهي قصيدة **"غرناطة"** (**Grenade**).

تعدّ قصيدة **"غرناطة"** (Grenade)، من أبرز ما كتبه فيكتور هيجو عن مدينة شرقية الطابع، «حيث يعبر من خلالها عن إعجابه بمدينة غرناطة الإسبانية ذات الإرث العربي، ويقارنها بعدد من المدن الإسبانية الأخرى، مشيدا بجمالها العمراني وتفرّدها الحضاري. كما يمجّد الطابع الشرقي المميز الذي يطغى على معالم المدينة، لاسيما قصر الحمراء، وهيجو ورغم مديحه للجوانب الشرقية في غرناطة، لا يخفي انتماء المدينة الحالي للثقافة الكاثوليكية، ويعتبرها جزءا من

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 232.

الماضي الزائل. ويشير أيضا إلى أن العديد من الأسماء الإسبانية التي تبدأ بالمقطع "**Al**"، مثل(Alicante) ، تعود في أصلها إلى اللغة العربية، مما يعكس الأثر العميق للتراث العربي في تاريخ إسبانيا»[1].

غرناطة «Grenade»[2]

«A Grenade la jolie
La pomme de la beauté
Étale Plus de pompe orientale»[3]

غرناطة، الحسناء،
تفاحة الجمال،
وتحتلي بأبّهى حلل المشرق الباذخة!

تتخذ هذه الأبيات من مدينة غرناطة أيقونة جمالية وحضارية تعلو على سواها من المدن، حيث تبرز النصّ تفوّقها من خلال ثنائية الجمال المعماريّ والزخرفة الشرقية التي تتجلى في عبارة (Pompe Orientale)، هذه العبارة لا تقتصر على الوصف الحسّيّ، بل تتحوّل إلى رمزٍ للعمارة الإسلامية الأندلسية بما تحمله من أنماطٍ زخرفيةٍ معقّدةٍ ونقوشاتٍ تجسّد ذروة الإبداع الفنيّ في الحضارة العربية الإسلامية.

كما يضفي النصّ بعدا سماويا على المشهد عبر الإشارة إلى "**سماءٍ ساحرة**"، مما يكسب المدينة هالة من القداسة والجلال، في إطار المزج بين الجمال الأرضيّ والسماويّ. هذا الوصف ليس مجرّد تمجيدٍ جغرافيٍّ، بل هو احتفاء بإرثٍ ثقافيٍّ يجسّد التلاقح بين الشرق والغرب في الأندلس، حيث تتحوّل العمارة إلى لغةٍ صامتةٍ تروي عظمة الحضارة الإسلامية وتفرّدها.

«Alicante aux clochers mêle les minarets;»[4]

أليكانتي، تمازج المآذن بالأبراج الكنسيّة

[1]- ينظر: عائشة قاسمي، الملامح الشرقية في ديوان (الشرقيات) للشّاعر الفرنسي "فيكتور هوجو" (قصيدة غرناطة أنموذجا)، بحث مقدم لنيل أطروحة الدكتوراه في الأدب العربي تخصص دراسات مقارنة، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2018م-2019م، ص134.

[2]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 183-188.

[3]- Ibid, P: 186.

[4]- Ibid, P: 186.

-يصف هنا الشاعر مدينة أليكانتي وأصبحت تتعادل بين **"أبراج بروكسل"** (clochers) و**"المآذن"** (les minarets)، وهذا الدمج بين المعمار المسيحي والإسلامي يعكس الطابع الشرقي الأندلسي للمدينة.

«Compostelle a son saint ; Cordoue aux maisons vieilles
A sa mosquée où l'œil se perd dans les merveilles;»[1]

لـ "كومبوستيلا" قديسها، وقرطبة ذات الدّور العتيقة
فيها مسجد يغيب البصر في عجائبه المدهشة

في هذين البيتين، ينسج الشاعر لوحة شعرية تخلد عظمة مدينة قرطبة عبر استحضار مساجدها التاريخية التي تبهر الناظر بفخامتها المعمارية وجماليتها الفنية. ويبرز مسجد قرطبة كأبرز رمزٍ شرقيٍّ في النص، حيث يتجاوز كونه مكانا للعبادة ليصير أيقونة ثقافية تختزل عبقرية العمارة الإسلامية في الأندلس.

«Tolède a l'alcazar maure»[2]

وطليطلة ذات القصر الموريّ

-يقدّم الشاعر في هذا البيت إحالة تاريخية دقيقة من خلال مصطلح (alcazar maure) **"القصر المغربيّ"**، الذي لا ينحصر دلالته في الإطار المعماريّ فحسب، بل يحمل أبعادا ثقافية وحضارية عابرة للحدود. فالقصور المغربية في السياق الأندلسيّ تمثّل نمطا هندسيا يجسد التمازج بين:

- التقنيات المعمارية الأمازيغية المحلية
- الروح الإسلامية في تنظيم الفضاء
- التأثيرات الأندلسية المتأثّرة بدورها بالمدارس المشرقية.

«Mais Grenade a l'Alhambra»[3].

وغرناطة ذات القصر الحمراء.

-يجسّد الشاعر في هذا البيت **"قصر الحمراء"** بوصفه تحفة فنيّة تعبر حدود الزمان والمكان، حيث يصير المبنى شاهدا حيا على ذروة الإنجاز الجماليّ

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 186.
[2]- Ibid, P: 187.
[3]- Ibid, P: 187.

والحضاريّ للفنّ الأندلسيّ. فالقصر بأروقته المزدانة بالزخارف المعقّدة وأفنيته المتناغمة مع الماء والضوء، لا يمثّل مجرّد فنٍّ معماريٍّ بل يحمل في طيّاته فلسفة شرقيّة عميقة تربط بين الجمال والمقدّس.

هذه الإشارة إلى القصر تدفع بالوصف إلى دلالةٍ أعمق، فـ**"الرمزية الشرقية"** هنا لا تقتصر على المظهر الخارجيّ، بل تغوص في البعد الأنثروبولوجيّ الذي يرى في العمارة لغة ثقافيّة تعبّر عن رؤية العالم في الحضارة الإسلاميّة. كما أنّ اختيار القصر **"بوصفه أيقونة أندلسيّة"** يبرز التمازج الفريد بين التأثيرات العربيّة والمحليّة في صياغة هويّةٍ فنيّةٍ متفرّدةٍ.

«Quand la lune, à travers les mille arceaux arabes,
Sème les murs de trèfles Blancs!»[1]

عندما ينثر القمر، عبر الأقواس العربية الألف،
زهور النفل على جدران الأجنحة!

-يبرز الشاعر في هذين البيتين عنصرا جماليا أساسيا في العمارة الأندلسية، الأقواس العربية (Arceaux Arabes) مع التأكيد على تأثير الضوء السحري، حيث يتحول إلى رمز ثقافي يختزل عبقرية الفن الإسلامي. فالأقواس العربية ليست مجرد عناصر معمارية وظيفية، بل تمثل ذروة الإبداع الهندسي الإسلامي الذي يجمع بين المتانة والجمال، مع ما تحمله من دلالات روحية تعكس مفهوم **"الانفتاح"** و**"الارتقاء"** في الفكر الإسلامي.

«L'éblouissant Généralife
Elève dans la nuit son faîte illuminé»[2].

جنّة العريف المتألّقة
ترفع في الليل قمّتها المنوّرة.

-يقدّم الشاعر في هذين البيتين تصويرا استعاريّا لـ**"قصر جنة العريف"** (Generalife) بوصفه جنّة شرقية متخيّلة، مما يضفي على المكان بعدا أسطوريّا يتجاوز كونه مجرّد مبنى تاريخيّ. فالمجمع المعماريّ (الذي يشمل قصر الحمراء وجنة العريف) يتحوّل هنا إلى رمزٍ للفردوس الأرضيّ، حيث تتدفّق

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 187.
[2]- Ibid, P: 188.

المياه وتزدهر الحدائق في انسجامٍ يجسّد الذائقة الجمالية الإسلامية في التعامل مع الفضاء والطبيعة.

«L'Arabie est son aïeule.
Les maures, pour elle seule,
Aventuriers hasardeux,
Joueraient l'Asie et l'Afrique,»[1]

الجزيرة العربية جدتها،
والموريون، فداء لها،
مغامرون متهورون،
لعبوا بآسيا وأفريقيا.

-يبرز النصّ في هذه الأبيات أبعادا تاريخية وحضارية عميقة، حيث يستهلّ بالإشارة إلى الجزيرة العربية كأصلٍ تأسيسيٍّ يؤكّد الجذور الشرقية لغرناطة، موضّحا بذلك الامتداد الجغرافيّ والثقافيّ للحضارة الإسلامية من المشرق إلى الأندلس. ثمّ ينتقل إلى ذكر **"الموريون"** (les Maures)، الذين يمثّلون هنا الورثة الثقافيين لتلك الحضارة، ويصوّرون كمغامرين حملوا معهم إرث آسيا وإفريقيا العريق إلى شبه الجزيرة الأيبيرية.

[1]- Victor Hugo: Les Orientales, Opcit, P: 188.

المبحث الثاني: تأثر وإعجاب فيكتور هيجو بالعالم الشرقي والإسلامي

أولا: رؤى فيكتور هيجو حول الشرق

يتميز الغربيون بتنوع أفكارهم ومعتقداتهم حول الشرق، ومن بينهم فيكتور هيجو الذي يمتلك رؤى فريدة عن هذه المنطقة. ومن أبرز أعماله التي تعكس تصوره عن الشرق هو ديوان «**أسطورة العصور** (La légende des siècles) وبالتحديد الجزء الأول الذي نشر سنة (1859م)»[1]، وقد انتقل فيها هيجو إلى الشعر الملحمي، حيث جسد فكرة التاريخ في إطار درامي يتصارع فيه الخير والشر، بدءا من آدم وحواء وصولا إلى المسيح. كما تناول الانتقال من الإنجيل إلى روما، بالإضافة إلى الإسلام الذي كتب عنه ثلاث قصائد سنستعرضها لاحقا. كما وقد تطرق إلى معجزات الأديان السماوية وعصر البطولة المسيحي، ودمج أساطير أوروبا من مختلف المناطق. وقد عاد إلى القرون الوسطى، بحيث رأى أن مبادئ الثورة وضعت حدا للجهل والجوع والملكية المطلقة.

كما لايمكننا أن ننسى أننا وجدنا في الجزء الأول من هذا الديوان، قصيدة تحمل عنوان "**الضمير**" «La Conscience»[2]، والذي يستعرض فيها هيجو وبالتحديد في الأبيات الأخيرة ندم قابيل بعد ارتكابه جريمة قتل أخيه هابيل. ويشير إلى أن عين الله تراقبه بغضب في كل مكان يتوجه إليه. وهذه الأبيات هي:

«Puis il descendit seul sous cette voûte sombre ;
Quand il se fut assis sur sa chaise dans l’ombre
Et qu’on eut sur son front fermé le souterrain,
L’œil était dans la tombe et regardait Caïn»[3].

ثم نزل وحده تحت ذلك القبو المظلم؛
ولما جلس على كرسيه في العتمة،

[1]- فيكتور هيجو: مقدمة كرومويل - بيان الرومانتيكية، تر: د. علي نجيب إبراهيم، ص27

[2]- Victor Hugo: O.C. Poésie II, La Légende des Siècles, I, P: 47-51.

[3]- Ibid, P: 51.

وأغلق القبر فوق جبهته،
كانت العين* في القبر، تراقب قايين*.

أما في الجزء الثالث من الديوان، فقد كتب هيجو ثلاث قصائد تتناول موضوع الإسلام والتي قلنا سابقا بأننا سنستعرضها. وهذه القصائد هي **"السنة التاسعة للهجرة"** (L'An neuf de l'hégire)، **"محمد"** (Mahomet)، و **"الأرز"** (Le cèdre)، وهذه القصائد الثلاث اتبع فيهم نهج الرسول (ﷺ) مع ذكر روح الصحابة بأسلوب يمجدهم بشكل رفيع، بالإضافة إلى الدقة في عرض الحقائق.

1) قصيدة "السنة التاسعة للهجرة" «L'An neuf de l'hégire»[1]

نجد هيجو في قصيدته الأولى والمسماة بـ**"السنة التاسعة للهجرة"** (L'An neuf de l'hégire) واصفا رسولنا الكريم محمد (ﷺ) في أيام شبابه الماضي، مع التركيز على ملامحه الجسدية وخصائص وجهه، وذلك من خلال هذه المقاطع:

«Les temps antérieurs, l'ère immémoriale.
Il avait le front haut, la joue impériale,
Le sourcil chauve, l'œil profond et diligent,
Le cou pareil au col d'une amphore d'argent,»[2]

العصور الغابرة، الحقبة التي لا يذكر لها زمان،
كان له جبين شامخ، وخدّ ذو مهابة إمبراطورية،
وحاجب أملس، وعين عميقة يقظة،
وعنق يشبه عنق إبريق من فضّة.

كما وقد ذكر الصفات التي تمسك بها الرسول (ﷺ) من أجل خدمة الإنسانية، مثل: العدل والإنصاف، والقوة العقلية، والصدق، والإحسان، والتواضع، وذكر الله، وغيرها من الصفات، وهذه الأبيات توضح هذا الكلام:

«L'air d'un Noé qui sait le secret du déluge
Si des hommes venaient le consulter, ce juge
Laissait l'un affirmer, l'autre rire et nier,

* العين/* قايين: [قايين هنا رمز للجاني الأزلي (قابيل)، والعين تمثّل الضمير أو عين الله الراصدة، إشارة إلى سفر التكوين 4-15].

[1]- Victor Hugo: La Légende des Siècles, Opcit, P: 120-129.
[2]- Ibid, P: 121.

Ecoutait en silence et parlait le dernier.
Sa bouche était toujours en train d'une prière;»[1]

له ملامح نوح، العارف بسرّ الطوفان،
ولو جاءه الناس يستفتونه، هذا القاضي
يدع أحدهم يقرّ، والآخر يسخر وينكر،
يصغي بصمت، ويتكلّم في الختام.
وكانت شفتاه لا تفترقان عن صلاة خفيّة.

كما تطرق للحديث عن أفعال رسولنا(ﷺ)، وأعماله، وكذلك تفاصيل حياته اليومية البسيطة والمتواضعة.

«Il mangeait peu, serrant sur son ventre une pierre ;
Il s'occupait de lui-même à traire ses brebis ;
Il s'asseyait à terre et cousait ses habits.
Il jeûnait plus longtemps qu'autrui les jours de jeûne,»[2]

كان يأكل قليلا، رابطا على بطنه حجرا،
ويعتني بنفسه في حلب أغنامه،
يجلس على الأرض ويخيط ثيابه بيديه،
ويصوم أطول من سواه في أيام الصيام.

ثم نجد أبيات يصف فيها أخر لحظات الرسول (ﷺ) لما بدأ يشعر بدنو أجله:

«À soixante-trois ans, une fièvre le prit.
Il relut le Koran de sa main même écrit,
Puis il remit au fils de Séid la bannière,
En lui disant : « Je touche à mon aube dernière,
IL n'est pas d'autre Dieu que Dieu. Combats pour lui»[3]

في الثالثة والستين من عمره، أصابته الحمى،
فأعاد قراءة القرآن الذي خطّه بيده،
ثم سلّم الراية إلى ابن سعيد،

[1]- Victor Hugo: La Légende des Siècles, Opcit, P: 121.
[2]- Ibid, P: 121-122.
[3]- Ibid, P: 122.

قائلا له: «لقد شارفت فجر أيامي الأخيرة،
لا إله إلا الله. قاتل في سبيله» .

وبعدها نجده يتناول موضوع إتمام الرسول(ﷺ) رسالة الإسلام، والتي جاءت لتكمل رسالة المسيح عيسى -عليه السلام -والذي ولد من العذراء مريم، والتي كانت تفوح برائحتها العطرة كالزهور:

«J'ai complété d'Issa la lumière imparfaite.
Je suis la force, enfants ; Jésus fut la douceur.
Le soleil a toujours l'aube pour précurseur.
Jésus m'a précédé, mais il n'est pas la Cause.
Il est né d'une Vierge aspirant une rose»[1].

لقد أتممت نور عيسى غير المكتمل،
أنا القوّة، يا أبنائي، وكان يسوع هو اللين.
فالشمس لا تأتي إلا بعد فجرٍ يمهّد لها.
لقد سبقني يسوع، لكنه ليس السبب،
ولدته عذراء كانت تستنشق وردة.

كما وقد أضاف هيجو ذكر العديد من وصاياه للمؤمنين، لينهي أبياته الأخيرة في هذه القصيدة باستئذان ملك الموت للرسول (ﷺ) قبل الدخول لأخذ روحه الطاهرة:

«Et l'ange de la mort vers le soir à la porte
Apparut, demandant qu'on lui permît d'entrer.
« Qu'il entre. » On vit alors son regard s'éclairer
De la même clarté qu'au jour de sa naissance ;
Et l'ange lui dit : « Dieu désire ta présence.
— Bien, » dit-il. Un frisson sur ses tempes courut,
Un souffle ouvrit sa lèvre, et Mahomet mourut»[2].

وفي المساء، وقف ملك الموت عند الباب،
يطلب الإذن بالدخول،
فقال: «فليدخل».

[1]- Victor Hugo: La Légende des Siècles, Opcit, P: 123-124.
[2]- Ibid, P: 129.

عندها أضاء بصره بنورٍ
كذلك الذي أشرق به عند ولادته،
فقال الملك: «إن الله يشتاق إلى لقائك».
قال: «نعم». وارتعشت صدغاه رجفة لطيفة،
وانفتح شفتاه بأنفاسٍ أخيرة، ومات محمد.

أما القصيدة الثانية والتي جاءت بعنوان **"محمد"** «**Mahomet**»[1]، فهي تتكون من أربعة أسطر فقط، فهذه الأبيات بالرغم من عددها القليل إلاّ أنها تفهم من قبل بعض المتلقين لها أنها تحتوي رموزا دينية.

ثم انتقل إلى القصيدة الثالثة والأخيرة، والتي هي قصيدة **"الأرز"** « **Le cèdre**»[2] «حيث هداها للفاروق عمر بن الخطاب، وتحدث عنه كواحد من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأثنى على دوره في نشر الدين الإسلامي في كثير من أنحاء الأرض»[3]. والتي «تعتبر قصيدة صوفية رمزية طويلة، قام فيها الشاعر بدمج التاريخ مع الأسطورة، مسلطا الضوء على حوار يجمع بين الخليفة **"عمر بن الخطاب"** (رضي الله عنه) **شيخ الإسلام**، و **"القديس يوحنا الإنجيلي الرسول"** (Saint Jean l'Évangéliste l'Apôtre)، مما يخلق جسرا روحيا يربط بين الجذور الشرقية للحضارة ونهاية العالم المسيحية، وتشبه هذه الرحلة رحلة **"الإسراء والمعراج"**، والتي ترمز إلى العلاقة بين الديانتين **الإسلامية والمسيحية**»[4]. وفي هذه القصيدة «يصور هيجو الخليفة عمر وهو يمشي على شاطئ جدة، والذي يعتبر مهبط حواء وأصل البشرية، وأثناء عبوره الصحراء قابل شجرة أرز عتيقة، فأمرها بأن تقتلع من الصخور التي رسخت فيها فلم تصغي لأمره، ولكن بعدما أمرها ثاني مرة لتطير باسم الإله الحي وتغطي القديس يوحنا، والذي كان نائما على شاطئ جزيرة يونانية، حيث حفظه الله حيا ليواجه المسيح الدجال، فارتجفت وكسرت الصخور الرخامية

[1]- Victor Hugo: La Légende des Siècles, Opcit, P: 130.
[2]- Ibid, P: 133-139.
[3]- موسى ولد أبنوا: مقالة (علماء وأدباء ومفكرون غربيون مدحوا الرسول ﷺ)، 1443/01/08ه – 2021/08/17م.
[4]- ينظر: محمد حسن بدر الدين، الأديب الفرنسي فيكتور هيجو منشغلا بالإسلام، مجلة الرافد، 2024/07/15م

الصلبة، وطارت فوق المدن والبلدان والأنهار والصحاري حتى وصل إلى اليونان وبالتحديد جزيرة **"بطمس"** (Pathmos)، والتي تعتبر مصدرا متخيلا للحضارة الأوروبية، ليغطي القديس بظله من الشمس. ولما استيقظ يوحنا ورأى الشجرة سألها عن زمن نبتها ولماذا تغطي مكانه بالظل، فأجابته بأنها جاءت بأمر كاهن محمدي يخضع له كل شيء»[1]. فاستدار يوحنّا إلى الجنوب وصرخ قائلا:

«Nouveaux venus, laissez la nature tranquille»[2].

يا من جئتم حديثا، لا تعبثوا بسكون الطبيعة.

ومن خلال ما تم ذكره سابقا، يتبين أن الإسلام قد ترك أثرا على المسيحية، وفي هذا الإطار جمع الشاعر هيجو في ديوانه **"أسطورة العصور"** القصص التوراتية والأساطير اليونانية والرومانية، إلى جانب الميتافيزيقا والقرآن الكريم والسيرة النبوية، وقد عكس من خلال ذلك إيمانه العميق بالله، مظهرا أن الإنسان محاط برعاية الله.

ثانيا: إعجاب فيكتور هيجو بشخصية الأمير عبد القادر وبشعر المتنبي

1. إعجاب فيكتور هيجو بشخصية الأمير عبد القادر:

لقد أبدى الكاتب الفرنسي فيكتور هيجو إعجابا واضحا بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري، مما دفعه إلى تأليف قصيدة خصيصا لتكريم الأمير، والتي سماها «**Oriental**»[3] ، وقد جاء هذا الإهداء الأدبي تقديرا لدور الأمير البطولي في مقاومة الاستعمار الفرنسي، فضلا عن ما اتصف به من قيم النبل والإنسانية سواء في السلم أو الحرب، وتجسّد هذه القصيدة تصويرا أدبيا رفيعا لعظمة الأمير عبد القادر وشجاعته، حيث عبّر هيجو من خلالها عن تقديره العميق لشخصية الأمير ومآثره. وفي هذا السياق، سيتم اختيار مجموعة من الأبيات الشعرية من القصيدة المذكورة وتحليلها:

«Lorsque Abd-el-Kader dans sa geôle
Vit entrer l'homme aux yeux étroits

[1]- ينظر: محمد حسن بدر الدين، الأديب الفرنسي فيكتور هيجو منشغلا بالإسلام، مرجع سابق.

[2]- Victor Hugo: La Légende des Siècles, Opcit, P: 139.

[3]- Victor Hugo: O.C. Poésie IV, Les châtiments, P: 86-87.

Que l'histoire appelle- ce drôle,

-Et Trop long - Napoléon trois;

Qu'il vit venir, de sa croisée,»[1]

عندما رأى عبد القادر، في سجنه،

ذلك الرجل ضيّق العينين يدخل عليه،

ذاك الذي تسميه كتب التاريخ – ويا له من مهرّج–

نابليون الثالث، ذلك الاسم الطويل؛

ورآه يقترب من نافذته.

-نجد الشاعر في هذه الأبيات يصف نابليون الثالث بالشخص الذي يسوده الازدراء، كـ**"الرجل الحولي"**، و**"الوجه الوضيع"**، بينما عبد القادر يبدو شامخا رغم الأسر.

«Lui, l'homme fauve du désert ;

Lui, le sultan né sous les palmes,

Le compagnon des lions roux,

Le hadji farouche aux yeux calmes,

L'émir pensif, féroce et doux ;

Lui, sombre et fatal personnage

Qui, spectre pâle au blanc burnous,»[2]

هو، رجل الصحراء المتوحّش،

هو، السلطان المولود تحت ظلال النخيل،

رفيق الأسود الضواري،

الحاجّ الجسور ذو العيون الهادئة،

الأمير المتأمّل، القاسي والوديع معا؛

هو، ذلك الكائن الغامض والقدر المحتوم،

الطيف الشاحب في برنوسه الأبيض،

[1]- Victor Hugo :Les châtiments, Opcit, P: 86.

[2]- Ibid, P: 86.

ثم نجده يقدّم صورة الأمير كشخصية نبيلة، بطولية، زاهدة، ذات بعد روحي، صورة مركبة ومعقدة، يجمع فيها بين الروحانية والوحشية الثورية، والجمال والدم.

«Alors le hadji salua.
Mais au fond toutes ses pensées
Méprisaient le sanglant gredin
Le tigre aux narines froncées
Flairait ce loup avec dédain»[1].

حينها، أدّى الحاجّ التحية،
لكن في أعماق نفسه،
كانت كل أفكاره تحتقر ذاك السفّاح اللئيم؛
النمر ذو الأنف المتجهم
كان يشمّ هذا الذئب بازدراء.

ثم في هذا المقطع الأخير نجد احتقارا صامتا ومتعاليا من عبد القادر لنابليون الثالث، حيث يجبر على إلقاء التحية، إلا أنه فيء داخله يحتقر الإمبراطور، كما يحتقر النمر الذئب.

ومما سبق يتضح لنا أن الأبيات التي قمنا بتحليلها، تصور لقاء تخيليا بين الأمير عبد القادر الجزائري، الأسير النبيل في سجنه، والإمبراطور نابليون الثالث، الذي يدخل عليه بتعالٍ، يصوّر عبد القادر كشخصية بطولية، قوية وذات هيبة روحية، بينما يقدّم نابليون الثالث كرجل دنيء ومخادع، ورغم أن الأمير يجبر على التحية، فإن أعماقه كانت تزدري هذا **"اللصّ الدموي"**، فالتباين واضح بين الهيبة الأخلاقية لعبد القادر والوضاعة السياسية لنابليون الثالث، حيث يشبه الأخير **"نابليون الثالث"** بـ**"ذئب"** وضيع، يتعرض لاحتقار من **"الأمير عبد القادر"** **"نمر"** حقيقي.

2. إعجاب فيكتور هيجو بشعر المتنبي

يعد أبو الطيب المتنبي من الشعراء الذين قرأ هيجو شعرهم وأعجب به وهذا بسبب دراسات المستشرقين الذين قامت آنذاك، «فلقد بدأت مسيرة الاهتمام

[1]- Victor Hugo :Les châtiments, Opcit, P: 87.

بشعر المتنبي وترجمته إلى اللغات الأوروبية من عام (1656م) حين نشر "**غوليوس**" (Golius) المتوفى عام (1667م) أولى قصيدة للرجل وموجزا عن سيرة حياته، وبعد ثلاثين سنة تقريبا ظهر كتاب "**المكتبة الشرقية**" لبارتيلمي هربلو (Barthelemy Dherbelot) وضم ترجمة المتنبي، ثم ظهر كتاب خص بالشاعر حمل عنوان "**نماذج من الفن العربي عند المتنبي**"، وضم "ست عشرة مقطوعة غزلية ومرثيتين بالنص العربي مصحوبة بترجمتها إلى الألمانية ".

وتتالت الترجمات؛ ففي عام (1791م) نشر "**س. ف. غونتر وال** " (S. F. Gunther Wahl) مجموعة "**المختارات العربية الجديدة**" التي حوت خمسة مقطوعات و مرثية باللغة العربية، وعام (1797م) قام "**ج. هـ. هندلي**" (J. H. Hadley) بنشر كتاب مختصر يضم سيرة أبي الطيب وشيئا من شعره، ومديحا حماسيا لشاعر الكوفة: "إن الكثير من قصائده ذات سمو رائع، وهي عظيمة جدا".

وينشر "**دوفال ديتان**" (Duval D'estains) عام (1813م) مرثية المتنبي لأبي شجاع فاتك بالنصين العربي والفرنسي، ويقدم رأيا نقديا للشاعر: "إن أبياته المليئة بالطاقة والحرارة وخطوطه المرسومة بجرأة، ولمساته الجميلة القوية، كل هذا وفر له بين المؤلفين العرب مكانة ممتازة، وبما أنه معتدل في أسلوبه، فلسنا واجدين عنده ذلك الحقير المتكلف. إن المتنبي يصور بقوة، ويمدح بلطافة، إنه ينثر في شعره الأفكار الأخلاقية. ولا يخضع لقواعد الذوق السائدة في عصره".

وقد تزايد الاهتمام الغربي بـ"**أبي الطيب**" منذ عام (1819م)، حيث شهدت بحوث المستشرقين وترجماتهم لشعره ازدهارا ملحوظا»[1].

والنظرة التي قمنا بالإشارة إليها مسبقا والتي تشير إلى تعامل المستشرقين مع شعر أبي الطيب وسيرته ودراستهم له، تشهد بأن فيكتور هيجو قد قرأ ما ترجم للمتنبي باللغات التي يتقنها وأعجب به وأفاد منه، ونجده بهذا استهل فصلين من روايته الأولى بشعر للمتنبي، وهذه الرواية هي رواية "**هان**

[1]- ريجيس بلاشير: أبو الطيّب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، تر: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ط2، سورية، دمشق، 1935م، ص447-449.

الإسلندي" والتي ترجمها الأستاذ زياد العودة إلى العربية وصدرت عن وزارة الثقافة عام (2009م)، فاختار خمسة أبيات من قصيدة المتنبي، وهذه القصيدة كما هو معروف كتبت في مدح قائد جيش مصر أبو شجاع فاتك. وقد أبدى المتنبي إعجابه بفروسيته وشجاعته في فترة حكم كافور مصر، مطلعها:

«لا خيل عندك تهديها ولا مال***فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»[1]

ويختار هيجو من القصيدة الأبيات التالية:

«القاتل السيف في جسم القتيل به***وللسيوف كما للناس آجال
تغير عنه على الغارات هيبته***وماله بأقاصي الأرض أهمال
له من الوحش ما اختارت أسنّته***عير وهيق وخنساء وذيّال
تمسي الضيوف مشهّاة بعقوته***كأنّ أوقاتها في الطيب آصال
تقري صوارمه الساعات عبط دمٍ***كأنّما الساع نزّال وقفّال»[2]

وقد أبدع في صياغة هذه القصيدة الرائعة التي تحمل معانٍ جديدة في مجالها، والأهم من ذلك في سياق الكتابة الروائية هو استخدام الاستهلال بطريقة فنية مميزة. وهذا ما نراه في الفصل المذكور. فهو يتحدث عن زيارة الشاب الفارس اوردنير وابنته الشابة، وقد علم أن دليل البراءة وقع في يد هان الرهيب، ومع ذلك يقطع وعدا للكونت السجين شوماكير وابنته انه سيلاحق هان ويعيد العلبة، التي تحمل رسائل ووثائق تخرجه من سجنه.

ينطلق الفارس إلى غايته ... بعد أن قام الراوي برسم صورة جميلة ومهيبة له مهّدت لها أبيات المتنبي السابقة؛ فهي أيضا تصف فارسا شجاعا يقتحم المخاطر في سبيل غايات نبيلة كما أسلفت. وهذا يعني أن فيكتور هيجو يعلم تماما لمن قيلت الأبيات ومناسبتها والملابسات التي أحاطت بها، ثم حذفت هذه الأبيات من العمل سنة(1833م).

---

[1]- أبو الطيّب المتنبي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص487.

[2]- استهلال مستوحى من ديوان أبي الطيب المتنبي، وقد تم حذفه في عام 1833م، ويمكننا إيجاد هذه الأبيات من خلال الرجوع إلى ديوان المتنبي، وتحديدا إلى القصيدة الموجودة في ص487، والتي تبدأ ب: لا خيل عندك تهديها ولا مال***فليسعد النطق إن لم تسعد الحال.

ثم ننتقل إلى الفصل الرابع والعشرين فنلاحظ أن الروائي استهل الفصل ببيت للمتنبي وهو بيته الرائع الذي يقول فيه:

«ويزيدني غضب الأعادي قسوة***ويلمّ بي عتب الصديق فأجزع»[1]

وبناء على ما تم ذكره، يتضح أن الكاتب الفرنسي العظيم فيكتور هيجو أعجب بأبي الطيب المتنبي، مثلما أعجب به عدد من الأدباء العرب والأجانب الذين سنحت لهم الفرصة لقراءة شعره والتعرف على سيرته الذاتية. وهذه مسألة تستحق اهتمام أساتذتنا النقاد الذين يتقنون أكثر من لغة، مما يدفعهم إلى إجراء دراسات معمقة وهادئة في هذا المجال.

[1]- فيكتور هيجو: هان الإسلندي، ترجمة زياد العودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق، 2009م، ص349

الفصل الثاني
تأثير فيكتور هيجو على الثقافة العربية

المبحث الأول: العرب وتأثرهم بفيكتور هيجو:

أولا: تأثير أعمال فيكتور هيجو على الأدباء والشعراء العرب.

ثانيا: رثاء العرب لفيكتور هيجو.

المبحث الثاني: دراسات وترجمات العرب لأعمال فيكتور هيجو:

أولا: دراسات العرب حول فيكتور هيجو وأعماله.

ثانيا: ترجمات الأدباء لأعمال فيكتور هيجو.

الفصل الثاني: تأثير فيكتور هيجو على الثقافة العربية

المبحث الأول: العرب وتأثرهم بفيكتور هيجو

لقد كان للأدب الفرنسي، ولاسيما أدب فيكتور هيجو، أثر بالغ في تشكيل وعي النخبة الثقافية العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وذلك في ظل حركة الترجمة والاطلاع المتزايد على الثقافات الأوروبية. ولم يكن تأثير هيجو سطحيا أو شكليا، بل امتد إلى البنى الفكرية والأسلوبية في كتابات عدد من رواد الأدب العربي الحديث، سواء في الشعر أو النثر، حيث وجد هؤلاء الأدباء في هيجو نموذجا للكاتب الملتزم بقضايا الإنسان، والمتمرد على التقاليد الجامدة، والمتسم بعمق فكري وجمالي. في هذا المبحث، سيتم تسليط الضوء على أبرز الأدباء العرب الذين تأثروا بفكر هيجو وإبداعه، مع تحليل أوجه هذا التأثر وتجلياته في نتاجهم الأدبي.

أولا: تأثير أعمال فيكتور هيجو على الأدباء والشعراء العرب

1) أحمد شوقي (1868م-1932م):

يعدّ أحمد شوقي الملقب بـ**"أمير الشعراء"***، أحد أبرز الشعراء العرب الذين تأثروا بالأدب الفرنسي تأثرا واضحا، وذلك «نظرا لإلمامه باللغة الفرنسية واطلاعه الواسع على آدابها»[1]. ولعل من تأثر بشكل خاص بأعمالهم فيكتور هيجو، حيث يمكن إيجاد **أوجه التشابه** بينهما على مستويات متعددة، لاسيما في **"الجانب الرومانسي"**. وتبرز هذه المقاربة بوضوح في قصيدة شوقي المعنونة **"دقات قلب المرء قائلة له"**، والتي يقول في مطلعها:

«دقّات قلب المرء قائلة له***إنّ الحياة دقائق وثواني

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها***فالذكر للإنسان عمر ثاني»[2]

وفي هذه الأبيات تتجسد الروح الرومانسية والتصوير الفنّي الذي يحاكي أسلوب هيجو في عدد من قصائده، وخاصة تلك الواردة في دواوينه **"أوراق**

---

* أمير الشعراء: وهو لقب يطلق على أحمد شوقي، ومعناه: الشاعر المتقدم على غيره في مكانته الشعرية، والذي يعدّ زعيما أو قائدا في مجال الشعر من حيث البلاغة، الإبداع، والتأثير.

[1]- جمال الدين الرمادي: خليل مطران-شاعر الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، ط1، 1972م، ص270.

[2]- أحمد شوقي: الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ج1، 2012م، ص710.

الخريف" (Les Feuilles d'automne) و**"التأملات"** (Les Contemplations). أما على صعيد **التأثر بالمضامين**، فقد تأثر **شوقي** بأسلوب **هيجو** في التعبير عن **المشاعر الإنسانية** و**الانحياز إلى قيم العدالة الاجتماعية**، وهو ما ظهر جليا في تعاطفه مع المظلومين واهتمامه بالقضايا الاجتماعية، كما يبدو التأثر واضحا في «تقليده لديوان هيجو **"أسطورة العصور"** (La légende des siècles) ، الذي شكّل مصدر إلهام لقصيدته التاريخية الطويلة»[1]. والتي تسمى «كبار الحوادث في وادي النيل»[2]، والتي تعتبر أم قصائده الأولى، وهذا ما يؤكد عمق التأثير الهيجوي في نتاجه الأدبي، وفي هذه القصيدة نجده محاكيا أسلوب هيجو التاريخي، إذ يسرد فيها تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة إلى عهد أبناء محمد علي»[3].

كما وقد وجدنا الباحث شهيد عرفان في كتابه **"العودة إلى شوقي أو بعد خمسين عاما"**، قد قام بتسليط الضوء على تأثير الشاعر الفرنسي في أمير الشعراء شوقي، بحيث يقول «يذكر شوقي صراحة غرامه بالثالوث الرومانسي الفرنسي هيجو وموسيه ولامارتين ولكن هيجو كان ولا شك وباعتراف شوقي نفسه شاعره الأثير»[4]. كما نجده يقول أيضا «لقد كان هيجو شاعر الرومانسية الأكبر وعقدة التفوق كانت تدفع شوقي إلى محاكاة الشاعر الأكبر. كما أن أعمال شوقي الأدبية وحياته توحي أنه اتخذ هيجو مثاله الأعلى»[5].

وهذه المقولتين توضح لنا أن شوقي أنه على الرغم من بإعجابه بعدد من الأدباء الفرنسيين، كان يميل بشكل خاص إلى فيكتور هيجو، وذلك بسبب عظمته الأدبية الشاملة وتنوع أعماله، وهذا الانجذاب جعله النموذج الذي تطلع شوقي إلى الاقتداء به في مسيرته الأدبية.

---

[1]- نادية دحماني، أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، مرجع سابق، ص146.
[2]- أحمد شوقي: الشوقيات، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، 6 يونيو2022م، ص27-42.
[3]- المرجع نفسه، ص18.
[4]- شهيد عرفان: العودة إلى شوقي أو بعد خمسين عاما، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986م، ص 58-59.
[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص59.

كما ونجد أيضا شهيد عرفان يشير إلى أوجه الشبه بين الشاعرين شوقي وهيجو، حيث يقول: «كان هيجو شاعرا وروائيّا ومسرحيّا، وكذلك كان أو صار شوقي، والأرجح أنه اهتدى في طموحه أن يكون كذلك بهدي هيجو»[1].

وهذه المقولة التي ذكرناها على وجود أوجه شبه بين فيكتور هيجو وأحمد شوقي كونهما شاعرين وروائيين ومسرحيين، تشير أيضا إلى أن أحمد شوقي قد يكون استلهم من فيكتور هيجو في سعيه لتحقيق إنجازات مماثلة.

كما وقد ورد في كتاب **"شعر شوقي الغنائي والمسرحي"** للدكتور **"طه وادي"** «أن شوقي قد صرح منذ وقت مبكر بإعجابه بثلاثة شعراء فرنسيين على اختلاف اتجاهاتهم وهم: فيكتور هيجو-ألفريد دي موسيه-لامارتين»[2].

تبرز هذه المقولة تأثر **"أحمد شوقي"**، وذلك بالرومانسية الفرنسية، ولاسيما بثلاثة من رموزها الكبار: **"فيكتور هيجو"**، **"ألفريد دي موسيه"**، و**"ألفونس دي لامارتين"**. فرغم اختلاف توجهاتهم، استلهم شوقي من كل منهم عناصر فنية متنوعة أثرت تجربته الشعرية.

2) حافظ إبراهيم (1872م-1932م):

حافظ إبراهيم، الشاعر المصري الذي يلقب بـ**"شاعر النيل"** أحد أبرز شعراء العربية في العصر الحديث، «ورغم كونه قليل الحظ من معرفة الأدب الفرنسي. إلا أنه كان يحاول أن ينظم في كل غرض فيها ولا تفوته مناسبة من مناسباتها»[3]، وقد «تأثر – مثل معاصره أحمد شوقي – بالأدب الفرنسي عموما وبالشاعر فيكتور هيجو خصوصا، لكن بدرجة أقل وضوحا من شوقي»[4]، ويمكننا أيضا تلمّس **التشابه** بين **حافظ** و**هيجو**. بحيث يبرز **أسلوب النداء والخطاب المباشر** كملمح بارز في شعر فيكتور هيجو، وهو ما تبناه حافظ إبراهيم، ولاسيما في قصيدته **"اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها"** (1903م) ومطلعها:

«أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن***فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

[1]- ينظر: شهيد عرفان: العودة إلى شوقي أو بعد خمسين عاما، مرجع سابق، ص 59.
[2]- طه وادي: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1119م، ص 14.
[3]- جمال الدين الرمادي، خليل مطران-شاعر الأقطار العربية، مرجع سابق، ص272.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني***ومنكم وإن عزّ الدواء أساتي»[1]

حيث يتجلّى في هذه الأبيات الخطاب الحماسي المباشر الذي يستدعي القارئ ويدعوه للتأمل، على نحو يذكّر بأسلوب هيجو في مخاطبة الأمة الفرنسية.

كما يتقاطع الشاعران في تبنيهما لدور **"الشاعر النبي"**، إذ مثّل كل منهما صوتا تنويريا في سياقه؛ فقد رأى هيجو في الشعر وسيلة للتغيير الاجتماعي، وهو ما انعكس في أعماله، بينما وظّف حافظ إبراهيم شعره للدفاع عن قضايا كإصلاح التعليم، وتمكين المرأة، والحفاظ على اللغة، ما يجعل من أدبهما أداة إصلاحية ذات بعد إنساني وقومي.

أما فيما يخص **التأثر**، فنجد **حافظ إبراهيم** قد تأثر بأشهر رواية لفيكتور هيجو «ألا وهي **رواية البؤساء**، والتي قام بتلخيصها وترجمتها»[2]، ونظرا لحجم الرواية التي تأثر بها والتي توفي قبل أن ينهي ترجمتها، أدى تأثره بها إلى تأليفه قصيدة في مدح صاحبها_هيجو_ والتي نشرت سنة 1907م، ومطلعها:

«أعجميّ كاد يعلو نجمه***في سماء الشعر نجم العربي
صافح العلياء فيها والتقى***بالمعرّي فوق هام الشهب
ما ثغور الزهر في أكمامها***ضاحكاتٍ من بكاء السحب
نظم الوسميّ فيها لؤلؤا***كثنايا الغيد أو كالحبب
عند من يقضي بأبهى منظرا***من معانيه الّتي تلعب بي»[3]

يصوّر **"حافظ إبراهيم"** في هذه الأبيات **"فيكتور هيجو"** كشاعر عالمي يضاهي كبار الشعراء العرب كأبي العلاء المعري، مشيدا بشعره الذي يجمع بين عمق العاطفة ودقة الصياغة، في صورة فنية تشبه الأزهار المتفتحة واللآلئ المنتظمة. وتعكس هذه الأبيات تقدير حافظ للأدب العالمي وسعيه إلى إبراز التقارب الثقافي من خلال الإبداع الشعري.

---

[1]- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وآخران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، ج1، 1948م، ص253-255.

[2]- حفناوي بعلي: الترجمة الأدبية الحطاب المهاجر ومخاطبة الآخر، دار اليازوري العلمية، 2016م، ص52.

[3]- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، مرجع سابق، ص 38-39.

كما وهناك أبيات في نفس القصيدة تدل على ثقافة حافظ المتصلة بهيجو وحياته الخاصة وهذه الأبيات هي:

«عاف في منفاه أن يدنو به***عفو ذاك القاهر المغتصب
بشّروه بالتداني ونسوا***أنّه ذاك العصاميّ الأبي
كتب المنفيّ سطرا للّذي***جاءه بالعفو فاقرأ واعجب
أبريء عنه يعفو مذنب***كيف تسدي العفو كفّ المذنب»[1]

وهذه الأبيات سواء أخبر فيها حافظ هذه الحادثة(النفي) من نفسه وقراءاته أم غيره من الأصحاب، فهي تمثل حادثة في حياة الشاعر أحسن الناظم اختيارها والتعبير عنها.

ونجد حافظ إبراهيم قد قال في «تأثر **"شوقي"** بـ **"هيجو"** مطولته **"تهنئة أحمد شوقي بك"**، والتي أنشدها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في (29أفريل 1927م)، وشارك في هذا الحدث مجموعة من شعراء الدول الشرقية»[2]. ومطلعها:

«يجيء لنا آنا (بأحمد) ماثلا***وآونة (بالبحتريّ) المرصّع
ويشئو رقى (هيجو) ويأتي نسيبه***لنا من ليالي (ألفريد) بأربع
وأخصبت في المنفى وما كنت مجدبا***وفي النّفي خصب العبقريّ السّميذع
لقد زاد (هيجو) فيه خصب قريحةٍ***وآب إلى أوطانه جدّ ممرع»[3]

تشير هذه المطولة إلى تأثير الأدب الفرنسي في أعمال أحمد شوقي، خاصة بعد عودته من المنفى، حيث تأثر بنتاجات أدبية مثل أعمال فيكتور هيجو. وتعد الأبيات تحية أدبية موجهة لهيجو، لكنها تحمل أيضا بعدا مقارنا بين الأدبين العربي والفرنسي، إذ تبرز التمازج الثقافي في شعر **"شوقي"** بين التراث العربي ممثلا في **"البحتري"**، والأدب الغربي ممثلا في **"هيجو"** و**"ألفريد دي موسيه"**.

3) خليل مطران (1872م-1949م):

[1]- حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، مرجع سابق، ص39.
[2]- المرجع نفسه، ص126
[3]- المرجع نفسه، ص126.

خليل مطران، الشاعر اللبناني والملقب ب"شاعر القطرين"*، يعد من رواد الشعر العربي الحديث، وقد «تأثر بالثقافة الفرنسية منذ كان صغيرا»[1]، كما «نجده معجبا وقارئا لعمالقة الآداب الغربية، والأدب الفرنسي خاصة من أمثال فيكتور هيجو وألفريد دي موسيه»[2]، ونجده قد تشابه مع هيجو في عدة جوانب، وتأثر به من عدة نواحي.

فمن حيث أوجه **التشابه** نجد: تميّز كل من فيكتور هيجو ومطران خليل مطران بعاطفة جياشة صادقة، حيث عبّر هيجو عن مشاعره الشخصية في ديوان أوراق الخريف، بينما اتسمت قصائد مطران، مثل "المساء"، بالصدق الوجداني ذاته. كما يجمع بينهما التجديد في الصورة الشعرية؛ إذ تجاوز مطران التقليدية العربية، معتمدا رمزية وتشبيهات درامية قريبة من أسلوب هيجو، خصوصا في تصويره لعناصر الطبيعة. وعلى مستوى المضمون، يتقاطع الشاعران في البعدين الإنساني والصوفي: فقصائد مطران كـ"**أيبكي أبناءك اليتـم**" تعكس شعورا تراجيديا إنسانيا، بينما تكشف أعماله الأخرى، مثل "آية في تسلسل الذكريات"، عن بعد صوفي يوازي النزعة الروحية في أعمال هيجو، لاسيما في أسطورة العصور.

أما بخصوص **التأثر**، فيتجلى بوضوحٍ في تأثر مطران بـ**الأسلوب العاطفي والتصويري** الذي يمتاز به فيكتور هيجو، لاسيما في تجسيد المشاعر الإنسانية ووصف الطبيعة، فلعل مطران قد استلهم من هيجو تلك النزعة الرومانسية التي تجعل من الشعر وسيلة للتعبير عن الأعماق النفسية، معتمدا على لغةٍ حيةٍ مليئة بالصور البيانية التي تخلق انسجاما بين المشهد الخارجي والوجدان الداخلي، كما ونجده قد «قام بترجمة لمسرحية هرناني»[3]. والتي هي أحد مسرحيات هيجو.

---

[1]- ينظر: فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، الدار العربية للكتاب، ط1، 2006م، ص47.

* شاعر القطرين: هو لقب يطلق على خليل مطران لأنه كان شاعرا كبيرا في بلدين (قطرين) هما: لبنان (بلده الأصلي) ، ومصر.

[2]- أحمد درويش: خليـــل مـــطـــران المسيرة والإبداع، تر: د. رشـــا صالـــح، راجعه: محمود إبراهيم البجالي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط1، 2010م، ص07.

[3]- المرجع نفسه، ص48-49.

ولعل من أشهر أعمال خليل مطران الشعرية كلها **"ديوان الخليل"** والذي «كتب فيها قصيدة تحمل اسم فيكتور هيجو مادحا إياه فيها. كما وقد اقترحت لتكون مقدمة لكتابه هذا **"ديوان الخليل"**»[1]، حيث بدأ مدحه له بالتساؤل التالي:

«بأي حدودٍ حد من قبلك الشعر؟ *** وأي قيودٍ قيد الحس والفكر؟(...)
أسلت ينابيع الفصاحة كلها *** وكان الذي يمتاح منها هو النزر
«فالله در العبقرية إنه *** لفيض إذا ما غاض من غيرها الّدر(...)
فمن أي أوج بالحياة وأهلها *** وبالكون والأحداث الممت يانسر؟
وفي أي فن من فنون جمالها *** تعادى عليك النظم أوفاتك النثر؟»[2]

تجسد هذه الأبيات التي نظمها خليل مطران في مدح فيكتور هيجو قصيدة فريدة تنطوي على إعجاب عميق، يتجاوز المديح التقليدي ليأخذ شكل بيان نقدي يحتفي بجوهر الإبداع والعبقرية. وتكتسب هذه الأبيات أهميتها من كونها لا تقتصر على التعبير الشعري، بل تعد تمردا على القيود الكلاسيكية، وإشادة بالعبقرية المتجاوزة للحدود الأدبية والثقافية.

4) مصطفى صادق الرافعي (1880م-1937م):

هو أحد أبرز الأدباء والكتاب العرب في العصر الحديث، عرف بجمال أسلوبه وعمق فكره، وخصوصا في مجال النثر الفني والدفاع عن اللغة العربية، وتأثر الرافعي بعدة مصادر فكرية وأدبية، ولعل من بينها الأدب الفرنسي، وخاصة أعمال الشاعر والكاتب الفرنسي الكبير فيكتور هيجو، وفيما يلي سنتحدث عن أهم أوجه التشابه، ثم نتطرق إلى تأثر الرافعي بهيجو:

فمن حيث **التشابه**، فنجد مصطفى صادق الرافعي يتقاطع مع فيكتور هيجو في **تبنّي نبرة إنسانية عميقة**، حيث يعالجان موضوعات الوجود والحب بلغة وجدانية ذات طابع تأملي وفلسفي. تتجلى هذه النزعة لدى الرافعي في قدرته على التعبير عن رؤيته للإنسان والعالم بأسلوب يجمع بين الحس المرهف والتفكير العقلي، كما يظهر في أعماله مثل **"حديث القمر"** و**"أوراق الورد"**. ويتقارب الشاعران أيضا في **استخدام اللغة البلاغية والأسلوب الأدبي الرفيع؛**

[1]- ينظر: خليل مطران: ديوان الخليل، ج2، دار مارون عبود، بيروت، 1977م، ص 51.
[2]- المرجع نفسه، ص 51-52.

فكما عبّر هيجو عن العاطفة بصدق في ديوانه **"التأملات"**، برز الرافعي بإحساسه الجمالي المرهف واهتمامه بالطبيعة، لكنه أضفى على نصوصه طابعا شرقيا يميز تجربته الشعرية..

أما بخصوص **التأثر**، «فيقال أن الرافعي قد صرح بأن كلمة قرأها لفيكتور هيجو كان لها أثر في الأسلوب الأدبي الذي اصطنعه لنفسه؛ حيث قال له الأستاذ فرح أنطوان مرة: إن لهيجو تعبيرا جميلا يعجب به الفرنسيون كل الإعجاب، قوله يصف السماء ذات صباح: "وأصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل"»[1].

وتعبّر هذه المقولة عن لحظة ملهمة تعكس التنوع الثقافي، حيث انتقلت بصمة هيجو الفرنسية إلى الرافعي العربي عبر جملة شعرية واحدة وهذه الجملة:

"وأصبحت السماء صافية كأنما غسلتها الملائكة بالليل".

أصبحت هذه الجملة نموذجا للأسلوب المجازي الرقيق الذي عرف به الرافعي لاحقا.

5) جبران خليل جبران (1883–1931):

جبران خليل جبران، أحد أعمدة الأدب العربي الحديث، «كان من الداعين المتحمسين لإنشاء الرابطة القلمية وقد انتخب رئيسا لها بالإجماع»[2]، وبهذا «كان أحد أبرز أعلام الرومانسية في الأدب العربي الحديث»[3]، ونجده قد تشابه وتأثر بعدد من المفكرين والأدباء العالميين، ولعل من أبرزهم فيكتور هيجو.

فمن حيث **التشابه**، نجد جبران خليل جبران يشترك مع فيكتور هيجو في **النظر إلى الشعر كأداة** للتعبير عن الحرية الفردية والروحية، **والتمرّد على القيود الاجتماعية والدينية** التي تحدّ من انطلاق الذات. وتشكّل الذات محورا جوهريا في شعر جبران، كما هي في أعمال هيجو، حيث تعطى المشاعر الفردية والداخلية أولوية بارزة، ويعتمد كلاهما على **المجاز والصور الشعرية**

---

[1]- محمد سعيد العريان: للأدب والتاريخ، من صفحات التاريخ، الرسالة، ع219 ،1937م، ص48-51

[2]- فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، مرجع سابق، ص52-53.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص58.

المكثفة لإضفاء طابع وجداني عميق. كما تعدّ **الطبيعة عنصرا رمزيا محوريا** في تجربتهما الشعرية؛ إذ تتجاوز الخلفية الجمالية لتجسّد مفاهيم كالحرية والانسجام الروحي، في إطار يعكس تأثير النزعة الرومانسية المشتركة بينهما.

أم بخصوص **التأثر**، فنجد جبران خليل جبران استلهم من هيجو روح الرومانسية التي تمجد الإنسان والطبيعة وتعبر عن المشاعر العميقة، وقدم أدبا عربيا حديثا يحمل هذه القيم بأسلوب فني مميز.

6) إيليا أبو ماضي (1889–1957):

هو أحد أبرز شعراء المهجر، وقد عرف بأسلوبه الإنساني والتأملي، وكان منفتحا على الثقافات العالمية، خاصة الأدب الفرنسي، وقد تأثر بعدد من الأدباء الغربيين، ولعل من هؤلاء الغربيين فيكتور هيجو، الذي نجده قد تشابه معه وتأثره به من عدة نواحي.

فمن حيث **التشابه** نجد: إيليا أبو ماضي يتقاطع مع فيكتور هيجو في **تبنّي نزعة إنسانية شاملة**، إذ عبّر كلاهما عن قضايا الفقراء المهمشين، ورفض التعصب، ودعا إلى المحبة والتسامح. كما يشتركان في توظيف الطبيعة بوصفها مجالا للتأمل الوجودي، كما في قصائد هيجو وأعمال أبو ماضي مثل "**الطلاسم**" و"**المساء**". ويبرز العمق الفلسفي في تجربتهما الشعرية؛ حيث اتسمت دواوين هيجو، مثل "**القصائد والأغاني الشعبية**"، بنزعة تأملية في قضايا الكون والموت، وهو ما يتجلى أيضا في ديوان "**الخمائل**" لأبي ماضي. كذلك يتضح **اهتمامهما بالحريات والعدالة الاجتماعية**، إذ عبّر هيجو عنها بشكل مباشر، بينما جسدها أبو ماضي بروح أدبية وفكرية تلامس القيم الإنسانية العليا.

أما بخصوص **التأثر**، «فيلاحظ أن إيليا أبو ماضي قد تأثر بشكل ملحوظ ببنية دواوين فيكتور هيجو، حيث تبنّى في بعضها الطابع الدرامي الذي ميّز أعمال هيجو الشعرية، كما اعتمد نمط العناوين الثانوية في بعض مؤلفاته، متبعا بذلك أسلوب هيجو في تقسيم دواوينه. ويتجلى هذا التأثر بوضوح في قصائد مثل "**تأملات**"، وهو عنوان يقارب عنوان ديوان هيجو "**التأملات**" مع

الاستغناء عن أداة التعريف "**ال**"، وكذلك في "**الأسطورة الأزلية**"، التي تعد ترجمة دلالية لعنوان ديوان هيجو "**أسطورة القرون**"»[1].

7) عباس محمود العقاد (1889م-1964م)

هو أحد أبرز الأدباء والكتاب العرب في العصر الحديث، عرف بجمال أسلوبه وعمق فكره، وخصوصا في مجال النثر الفني والدفاع عن اللغة العربية، وتأثر الرافعي بعدة مصادر فكرية وأدبية، من بينها الأدب الفرنسي، وخاصة أعمال الشاعر والكاتب الفرنسي الكبير فيكتور هيجو، وفيما يلي سنتحدث عن أهم أوجه التشابه، ثم نتطرق إلى تأثر الرافعي بهيجو:

فمن حيث **التشابه** نجد: عباس محمود العقاد يتقاطع مع فيكتور هيجو في **الأسلوب الأدبي والطابع الرومانسي؛** إذ اتسم أسلوب هيجو بالبلاغة وقوة التصوير، وهي سمات بارزة أيضا في كتابات العقاد النثرية، كـ ساعات بين الكتب، التي تجمع بين التحليل العميق واللغة الفنية. كما تأثر العقاد بالتيار الرومانسي، خاصة في بداياته الشعرية، حيث يظهر التفاعل مع الصور الوجدانية والتأملات الذاتية، على نحو يوازي الحس العاطفي في أدب هيجو. كذلك، يتفق الكاتبان في **التزامهما بالدفاع عن الحرية والعدالة؛** فكما حملت أعمال هيجو مثل "**البؤساء**" دعوة إنسانية قوية، عبّر العقاد عن مواقفه الفكرية والسياسية ضد الاستبداد ودافع عن حرية الرأي بوضوح واستمرار.

كما ونجد العقاد **معجبا** بهيجو وفيه يقول: «وهذا فيكتور هيجو كان أشعر أبناء عصره من الفرنسيين وقد حضر الثورة وحرب السبعين»[2].

تعكس مقولة العقاد إعجابه العميق بفيكتور هيجو، إذ يصفه بأنه "**أشعر أبناء عصره من الفرنسيين**"، في إشارة إلى تفوقه الشعري ومكانته الأدبية البارزة. كما يبرز العقاد التزام هيجو الوطني والاجتماعي من خلال مشاركته الفاعلة في أحداث كبرى كالثورة وحرب السبعين، مما يعكس تلاحم إبداعه مع قضايا عصره.

8) أحمد زكي أبو شادي (1892م-1955م):

[1]- ينظر: نادية دحماني، أثر فيكتور هيغو في شعر إيليا أبي ماضي، مرجع سابق، ص195.
[2]- عباس محمود العقاد: حول الحرب والشعر، مجلة الرسالة، ع 385، 1940م ،ص2.

هو شاعر وأديب مصري بارز، هو «أحد أعلام التجديد في تاريخ الأدب العربي الحديث»[1]، كما اشتهر بتأسيس جماعة **"أبولو"** سنة (1932م)، ويعد «واحدا ممن تأثروا بالثقافة الغربية وبالتيار الرومانسي فيها»[2]، وقد تشابه وتأثر بهيجو من عدة جوانب.

فمن حيث **التشابه** نجد: اشتراك أحمد زكي أبو شادي مع فيكتور هيجو في **النزعة الإنسانية**، إذ تناول كلاهما في أعماله قضايا الفقر والظلم والكرامة، مع **التركيز على الإنسان** ككائن حر ومعبّر ومتألم. كما تتجلى في شعرهما **روح الثورة والحرية**؛ فبينما عبّر هيجو عن رفضه للظلم الاجتماعي والسياسي، جاءت قصائد أبو شادي محمّلة بدعوات للتحرر والتغيير، ونقدٍ للواقع القائم، في إطار يجمع بين الالتزام الفني والموقف الإصلاحي

أما فيما يخص **التأثر**، فنجد «أبو شادي في ديوانه المعروف **"أنداء الفجر"** يبرز أن فيكتور هيجو الذي لا يمكن لأحد أن ينافسه في تنوع موضوعاته، لم يكن يولي اهتماما كبيرا للجمال المصطنع بقدر اهتمامه بالأسس الشعرية»[3].

تظهر هذه المقولة، الواردة في ديوان أنداء الفجر لأحمد زكي أبو شادي، رؤيته النقدية الفريدة تجاه فيكتور هيجو، إذ تعكس عمق تأثره به، مع تقديم نقدٍ واعٍ لبعض جوانب تجربته الشعرية.

كما ونجده امتدحه في كتابه **"قطرة من يراع"** قائلا: «فيكتور هيجو، شاعر فرنسا وحكيمها العظيم، لم يكن من عائلات غنية أو مرفهة. بل كان عصاميا، حيث تمكن بفضل اجتهاده وذكائه من تحقيق مراتب رفيعة»[4].

وتبرز هذه المقولة فيكتور هيجو نموذجا للإرادة الإنسانية القادرة على تجاوز العوائق المادية، مشددة على أن العظمة تبنى بالعمل الدؤوب والموهبة الفطرية، لا بالثروة أو الانتماء العائلي. كما تؤكد هذه المقولة أن الأدب العظيم

---

[1]- فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، المرجع السابق، ص79.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن .

[3]- أحمد زكي أبو شادي: أنداء الفجر، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، مصر، 2013م، ص42.

[4]- أحمد زكي أبو شادي: قطرة من يراع في الأدب و الاجتماع، ج1، مطبعة الظاهر، القاهرة، 1907م، 71.

يمتلك القدرة على إحداث تغيير حقيقي في المجتمع، مما يعزز دوره كأداة فعالة للتأثير والتحول الاجتماعي.

وفضلا عن المدحين السابقين، يلاحظ أن الشاعر أورد في ديوانه الينبوع، وتحديدا في كلمته الختامية، تساؤلا أشار فيه إلى فيكتور هيجو، وهذا التساؤل هو: «وأين هذا من تشدد الغربيين في النقد؟ أين سونبرن الآن؟ بل أين أستاذه فيكتور هيجو؟ وما أدراك من سونبرن وفيكتور هيجو في زمنهما؟!»[1]

وهذه الاستفسار بمثل تحذيرا من:

- تراجع ملحوظ في قيمة النقد.
- غياب الرقابة الفنية الدقيقة على الأدب.
- تدهور المكانة الأدبية التي كانت تحظى بها شخصيات أدبية بارزة مثل هيجو وسونبرن.

9) محمود أحمد تيمور (1894م-1973م):

هو أحد أعلام الأدب العربي الحديث، وقد تميز بأسلوبه القصصي الرصين والمفعم بالواقعية والاهتمام بالتفاصيل النفسية والاجتماعية، وهو يعد من رواد القصة القصيرة في الأدب العربي، وقد تشابه وتأثر بفيكتور هيجو من عدة جوانب:

فمن حيث **التشابه**، فنجد محمود تيمور يتقاطع مع فيكتور هيجو في **تبنّي البعد الإنساني**، إذ ركز كلاهما على قضايا العدالة الاجتماعية ومعاناة الفئات المهمّشة، من خلال تسليط الضوء على الأفراد البسطاء وظروفهم النفسية والاجتماعية. كما يشتركان في **التصوير الدرامي للشخصيات**، بحيث برع هيجو في رسم نماذج إنسانية معقّدة، وهو ما يتكرر في قصص تيمور التي تكشف عن عمق الصراعات الداخلية. وعلى مستوى اللغة، رغم اختلاف السياقين اللغويين، تتقارب أعمالهما من حيث الأسلوب البلاغي والتصويري، مع عناية خاصة بالجمال الفني دون التفريط بالمضمون..

أم بخصوص **التأثر**، فقد تأثر محمود تيمور بالنزعة الرومانسية لدى فيكتور هيجو، مما ساعده على بلورة أسلوبه الأدبي وتوسيع موضوعاته، وجعله من

[1]- أحمد زكي أبو شادي: الينبوع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، ج1، 2013م،

أبرز وجوه الحركة الأدبية الحديثة في مصر المتأثرة بالأدب الرومانسي الفرنسي.

أضف إلى ذلك نجد **"تيمور"** أشار إلى أن **"حافظ إبراهيم"** كان مولعا بأقوال العباقرة ومفتونا بها، بحيث قام يحثه على تعلم اللغة الفرنسية للاستفادة من أدب فيكتور هيجو، حيث نجده قال بأن حافظ أشار إليه قائلا: «تعلم الفرنسية فهي لغة الأدب الرفيع»[1]. وهذا القول مفاده أن حافظ رأى بأن على تيمور تعلم الفرنسية لكونها بوابة للأدب العالمي، وحتى يكون بذلك متقنا لأدب هيجو.

10) إلياس أبو شبكة (1903م-1947م):

هو أحد أبرز الشعراء والكتّاب اللبنانيين في العصر الحديث، وينتمي إلى المدرسة الرومانسية في الأدب العربي. تأثّر بالعديد من الأدباء الغربيين، ولعل من بينهم الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هيجو(1885–1802) ، أحد أعلام الرومانسية الفرنسية والعالمية، حيث تشابه معه وتأثره به من عدة جوانب.

فمن حيث التشابه نجد: أبو شبكة يتقاطع مع فيكتور هيجو في البعد الإنساني والاجتماعي، إذ نجد أن كلا الشاعرين دافع عن قضايا الإنسان، حيث يعبر هيجو عن معاناة الفقراء والمظلومين، بينما يظهر هذا الاهتمام في شعر أبو شبكة من خلال تناوله لآلام الإنسان المعاصر وتناقضاته. كما يشتركان في استخدام الطبيعة كمرآة للنفس الإنسانية؛ ففي قصيدة "أفاعي الفردوس" لأبو شبكة، تتجلى الطبيعة كمصدر إلهام وصراع، تماما كما فعل هيجو في أعماله. كذلك، نجد أن كلا الشاعرين قد سعى للتجديد في الشكل والمضمون؛ فبينما كسر هيجو بعض القيود الكلاسيكية في الشعر الفرنسي، اتبع أبو شبكة نهجا مشابها في تجديد الشعر العربي، حيث ابتكر صورا جديدة وموسيقى شعرية حديثة، واستخدم الأوزان بحرية مبتعدا عن النمط التقليدي في بناء القصيدة.

أما بخصوص التأثر فنجده يقول: «الشاعر من يحسن على غرار فيكتور هيجو وألفرد ده موسه»[2]. وهذا القول مفاده أن معايير الشاعر الحقيقي تحدّد

---

[1]- سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث. تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م، ص97.

[2]- إلياس أبو شبكة: روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة، دار المكشوف، بيروت ، 1943م، ص83.

وفقا لمعايير الأدب الرومانسي الفرنسي، بحيث يعتبر فيكتور هيجو وألفريد دي موسه نموذجين للشاعر المبدع الذي يجمع بين العمق الفكري، والجمال اللغوي، والقدرة على إثارة المشاعر. ومن ينجح في الوصول إلى مستواهما في الشعر يكون قد حقق هدف الفن الشعري.

وروى في نفس كتاب "إلياس أبو شبكة" «أن الشاعر إلياس فياض ما بلغ ظهر الباخرة حتى تذكر قصيدة لفيكتور هيجو «العقوبات» Les Châtiments نظمها وهو منتقل من فرنسا إلى منفاه في جرسي. فقد تصور الشاعر الفرنسي في قصيدته إن جميع الفضائل قد هجرت فرنسا معه إلا الذل الذي بقي فيها، وختمها بقول الذل: !Moi je reste»[1].

يتجلى من خلال هذه المقولة كيف أن صورة شعرية واحدة رسمها هيجو، تتمحور حول المنفى والذل، قد ظلت راسخة في ذاكرة الأدباء عبر العصور. وقد بلغ تأثيرها حدا دفع بشاعر مثل إلياس فياض إلى استحضارها مباشرة في لحظة تقاطعت فيها مع ظروف مشابهة.

ثانيا: رثاء العرب لفيكتور هيجو

بالرغم من التأثير الواسع الذي تركه فيكتور هيجو في الأوساط الأدبية، وكثرة الشعراء والأدباء الذين تأثروا بأفكاره وأشادوا بإبداعه وامتدحوه، إلا أن هناك شاعرا واحدا من الشعراء العرب البارزين قد خصوه بالرثاء، وهو:

أحمد شوقي:

وقصيدته في "**ذكرى هيجو**"* يستهلها بقوله:

«ما جلّ فيهم عيدك المأثور***إلا وأنت أجلّ يا فيكتور
ذكروك بالمئة السنين وإنها***عمر لمثلك في النجوم قصير
ستدوم ما دام البيان وما ارتقت***للعالمين مدارك وشعور
ولئن حجبت فأنت في نظر الورى***كالنجم لم ير منه إلا النور
لولا التقى لفتحت قبرك للملا***وسألت: أين السيد المقبور؟
ولقلت: يا قوم انظروا إنجيلكم***هل فيه من قلم الفقيد سطور؟
من بعده ملك البيان؟ فعندكم***تاج فقدتم ربه وسرير

[1]- إلياس أبو شبكة: روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة، مرجع سابق، ص99.

مات القريض بموت هيجو وانقضى***ملك البيان فأنتم جمهور»[1]

في هذه الأبيات، يصوّر أحمد شوقي الشاعر الفرنسي فيكتور هيجو بوصفه أعظم كتّاب عصره، ويقدّمه بوصفه رمزا للفصاحة والشعر الإنساني العالمي. وتعكس الأبيات مشاعر عميقة بالحزن على فقدان شخصية أدبية بارزة، إلا أنها في الوقت ذاته تؤكّد على خلود إرثه الأدبي، الذي يشبّه بالنجم اللامع في سماء الإبداع. ومن الجدير بالذكر أن شوقي لا يقدّم في هذه الأبيات رثاء تقليديا، بل يتجاوز حدود الرثاء المألوف ليبرز الدور الريادي الذي أدّاه هيجو في الارتقاء بمكانة الأدب وخدمة القضايا الإنسانية.

وهناك في القصيدة نفسها رثاء لفيكتور هيجو:

«فقدت وجوه الكائنات مصورا نزل***الكلام عليه والتصوير

كشف الغطاء له، فكلّ عبارةٍ في***طيّها للقارئين ضمير

لم يعيه لفظ، ولا معنى ولا***غرض ولا نظم ولا منثور»[2]

يصور **شوقي** في هذه الأبيات الثلاث فيكتور هيجو كـ **"نبيّ الأدب"** الذي جمع بين البلاغة والحكمة، وقدرته على كشف الحقائق الإنسانية عبر الكتابة. كما وتظهر هذه الأبيات إعجاب شوقي بهيجو كأديب عالمي استثنائي، وتعبر عن الحزن لفقدان قامة أدبية أرست أسسا للفن والجمال.

* نظمت هذه القصيدة إحياء لذكرى الشاعر الفرنسي الكبير فيكتور هيجو، وذلك بمناسبة مرور مئة عام على وفاته.

[1]- أحمد شوقي: الأعمال الشعرية الكاملة، مج1، دار العودة، بيروت، 1988م، ص617

[2]- أحمد شوقي: الأعمال الشعرية الكاملة، المرجع السابق، ص617.

المبحث الثاني: دراسات العرب لفيكتور هيجو وأعماله وترجمات بعضها

مثّل فيكتور هيجو محورا لعدد من الدراسات المقارنة في الأدب العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث ساهم إتقان عدد من الأدباء العرب للغة الفرنسية، فضلا عن زيارات بعضهم إلى فرنسا، في إتاحة الفرصة للاطلاع المباشر على نتاجه الأدبي. وقد أثار جمال أسلوبه وفرادته البلاغية إعجاب هؤلاء الأدباء، مما انعكس في تأثيره العميق على نتاجهم الإبداعي. ودفعهم هذا التأثر إلى دراسة أعماله، لاسيما الشعرية منها، وترجمتها إلى اللغة العربية بشغف واهتمام كبيرين. وسيتناول هذا المبحث هذين البعدين بالتحليل والتفصيل في الصفحات اللاحقة.

أولا: دراسات العرب حول فيكتور هيجو وأعماله

شهد مطلع القرن العشرين تحوّلا ملحوظا في المشهد الأدبي العربي، حيث بدأت أعمال الشاعر الفرنسي فيكتور هيجو تلقى صدى واسعا بين الأدباء والشعراء العرب، ولاسيما في مصر. وقد أسهمت المجلات الأدبية الرائدة آنذاك، مثل" **الهلال** "و"**المقتطف** "و"**الرسالة** "و"**البيان**"، في نشر ترجمات مختارة من أعماله ضمن سلاسل متتابعة، مما أتاح للقارئ العربي فرصة التعرّف على المذهب الرومانسي الفرنسي وتقنياته الشعرية المبتكرة.

بدأت "**مجلة الهلال**" منذ عامها الأول في (1892م) وفي العام الثاني (1893م)، قامت «بنشر دراسات عن هيجو في قسم "**أشهر الحوادث وأعظم الرجال**"، وزينت صوره غلافها وقد كان رئيس تحريرها جورجي زيدان»[1]، كما ونجد "**روحي الخالدي**" قد أصدر كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو " باللغة العربية «يتناول الكتاب تفاصيل احتفال فرنسا بفيكتور هيجو، حيث أقامت تماثيل له، وأطلقت اسمه على الشوارع والميادين، كما حولت منزله إلى متحف وسموه باسمه»[2]. وفي تلك المناسبة بدأ "**الخالدي**" بنشر مجموعة من المقالات عنه في مجلة الهلال، واستمرت هذه السلسلة حتى مايو (1904م)، وبعد ذلك جمع هذه المقالات في كتاب بعنوان "تاريخ علم

[1]- ينظر: نادية دحماني، أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، مرجع سابق، ص166.
[2]- ينظر: روحي الخالدي، تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب و فيكتور هيڤو، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ص09

الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هيجو"، حيث كانت المقالة الأولى تحمل عنوان «فيكتور هيجو»[1]. كما تتضمّن هذه المجلة مقالات أخرى، من بينها مقالة بعنوان "**ظهور فيكتور هيجو**"، تناول فيها كاتب فاضل مسيرة فيكتور هيجو، مشيرا إلى ظهور هيجو قائلا: «ظهر فيكتور هيجو وبرع في اللغة الفرنساوية وفي طرق الإفادة بها، كما أوجد الطريقة الرومانية وحاد فيها عن استعارات الطريقة المدرسية وتشبيهاتها القديمة، ولم يتخذ كلام المتقدمين منوالا لينسج عليه... واتخذ السوق الطبيعي والإحساس الباطني دليلا له في النظم والنثر، كما وقد كلما شعر فيكتور هيجو بشيء صوره بقلمه كما يحس به في قلبه بدون تهافت منه على ترصيع الكلام بجواهر البديع وتدبيحه بحلل المجاز والتشابيه»[2].

أما المقتطف فقد احتوت منذ (1885م) عددا من المقالات عنه، فمنه "**خليل هنداوي**" الذي نقل "**قصيدة الزهرة والفراشة**" لفيكتور هيجو، كما وقد أخذها "**نقولا فياض**" وضمها لكتابه "**رفيق الأقحوان**"، كما ونجد هذا الأخير قام «بإلقاء ترجمة قصيدة نابليون أمام أحد الأدباء المعروفين باللغة الفرنسية والعربية، حيث قال: قرأت الترجمة الموجودة في المقتطف أمام أحد الأدباء المتمكنين من اللغتين الفرنسية والعربية فلم تأثر فيه. وبعد ذلك قرأت له قصيدة هيجو كاملة باللغة الفرنسية، ولم يتمكن من السيطرة على حماسه، فنهض من مكانه عدة مرات»[3]. كما وقد أجرى الشاعر "**نجيب الحداد**" في صفحات هذه المجلة "مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي"، والتي نشرت على مدار ثلاثة أعداد. حيث نجده قد عرف الشعر فيه قائلا: «الفن الذي ينقل الفكر من عالم الحس إلى عالم الخيال، والكلام الذي يصور أدق شعائر القلوب على أبدع مثال، والحقيقة التي تلبس أحيانا أثواب المجاز، والمعنى الكبير الذي تبرزه الأفكار في أحسن قوالب الإيجاز وأخفى وجدانيات النفس. تتمثل للمرء فيحسبها سهلة وهي منتهى الإبداع والإيجاز، بل هو الانة التي تخرج من قلب الثكلان، والنغمة التي يترنح لترديدها الطروب النشوان والشكوى التي تخفف لوعة

[1]- روحي الخالدي: فيكتور هوكو، الهلال، س10، ج14، أبريل 1902م، ص421-440.
[2]- كاتب فاضل: ظهور فيكتور هوكو، الهلال، س12، ج14، أبريل 1904م، ص427-429.
[3]- ينظر: نقولا فياض، بلاغة العرب والإفرنج، المقتطف، مج24، ع4، أبريل 1900م، ص291-292.

الشاكي ويأنس بها المحب الولهان»[1]. وقد كان ردا على الإعجاب الذي أبداه أحمد كامل بأعماله والتشجيع على الاقتداء بها، «قيام هذا الأخير بنشر مقارنات بين "**هيجو وابن الرومي**"، وبين "**هيجو ومحمد توفيق البكر**"»[2]. اللذان قد نقلوا رؤيته للشعر واعتبروها جوهر الرؤية الإنسانية. كما دافعوا عن وجهة نظره في الإبداع الفني، معتبرين أنه ينبع بشكل طبيعي من الحياة ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، ويمكننا أن «نلاحظ أنه قام بمقارنة بين قصيدة مترجمة لفيكتور هيجو، التي نشرتها جريدة "**لسان العرب**" بعنوان "**رقص السحابة حول القمر**"، والتي يرثي فيها فتاة توفيت بعد حفلة رقص، وقصيدة "**علي بن العباس بن الرومي**" تتحدث عن فتاة تدعى "**بستان**"، توفيت بعد حفلة غناء. وقد أبدى تفضيله للقصيدة الأخيرة على قصيدة الشاعر الفرنسي، متجاهلا أن الترجمة قد تفقد الشعر بعضا من رونقه»[3]. كما أنه «لم يكن معجبا بقصيدة "هيجو" التي تحمل عنوان "واترلو" والتي يصف بها موقعة واترلو الشهيرة التي تتناول المعركة الشهيرة بين "**نابليون الأول**" و"**ملوك أوروبا**"، حيث يصف فيها "**نابليون**" وخطواته»[4]. وبعد أن قارن بين رسالة "محمد توفيق البكري"، الذي يعتبر إمام الأدب وشاعرا، وبين عمل "**هيجو**"، لاحظ أن الهدف من كلا العملين متشابه. وركز على الأساليب البلاغية المستخدمة من قبل الطرفين العرب، ووجد أن هذه الرسالة تمثل مثالا على آليات الفصاحة العربية، حيث تناولت أيضا موضوع نابليون بلغة مكثفة وغنية بالبلاغة. ورد كلا من "**خليل ثابت ونقولا فياض**"، على انتقادات أحمد كامل وقد انتقدا إنكاره للشاعر الفرنسي وفضلا قصيدته، متهمين إياه بجهلهم لخصائص اللغة الفرنسية. كما وأشار خليل ثابت إلى «أن تحامل أحمد كامل على الأدب الغربي يعود إلى غيرته على الأدب العربي وقلة معرفته باللغات والآداب الأوروبية». ورأى أن ما يعتبره أحمد كامل قصورا في الأساليب الغربية هو نتيجة لاختلاف الأذواق بين الأمم، مما

[1]- نجيب حداد: مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي، مجلة البيان، مج1، ع7، القاهرة، 16سبتمبر1897م، ص299.
[2]- ينظر: شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب و الغربيين، ص76.
[3]- ينظر: أحمد كامل، بلاغة العرب والإفرنج، المقتطف، مج24، ع1، مصر، يناير1900م، ص40-41
[4]- المرجع نفسه، ص42

يؤدي إلى تشويه الأصل»[1]. وأضاف قائلا: «لا أعتقد أن من يعرف اللغتين الفرنسية والعربية يمكنه أن يفضل رسالة السيد من حيث تنسيق ألفاظها وجمالها على قصيدة فيكتور هيجو باللغة الفرنسية الأصلية، إذ تحتوي الرسالة على ألفاظ قد تنفر السمع...، بينما تتميز قصيدة هيجو بسمو الخيال الذي لا يترك مجالا لشاعر آخر»[2]. كما قد «نشر نجيب أفندي الحداد تعريب قصيدة أخرى لفيكتور هيجو الشاعر الشهير (نظمها بعنوان نابليون الثاني ووصف بها ميلاد هذا الطفل) »[3]، ويختتم أحمد كامل مقاله بالدعوة إلى ترجمة ما كتبه الغربيون من روائع البلاغة والإنشاء، ليظهر ما لديهم من أفضل الأفكار في رأيه، لأن الجمع بين ما هو ممتع ومفيد من كلا الجانبين. وفي الأخير يتضح أن هذا القول يدل على أن الترجمة قد تفقد سحر وجمال النص الأصلي، مما يؤدي إلى أن المتلقي لا يتأثر بنفس الدرجة التي يتأثر بها بالنص الأصلي.

كما ظهرت على صفحاتها أيضا قصائد مترجمة للرومانسيين الغربيين، منها قبريه نظمها هيجو حول ولد دفن قرب البحر، وعربت بتصرف قليل، ومطلعها:

«أنت يا عشب الحقول الناضرة***وزهور الروض في تلك السفوح»[4]

أما في مجلة البيان فنجد **"نجيب حداد"** قد قام بمقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي، وفيه «يتحدث عن اختلاف ملحوظ بين الإفرنج والعرب في بناء البيت الشعري، لاسيما من حيث الترابط بين الأبيات. إذ ينتهج شعراء أوروبا أسلوب الربط العضوي بين البيت الأول والبيت الثاني، سواء على مستوى المعنى أو من حيث البناء اللغوي، وذلك بأن يختتم البيت الأول بالفاعل الذي يجعل قافيته، ويستهل البيت التالي بالمفعول، مما يحتّم على المتلقي عدم الوقوف عند نهاية البيت الأول، بل مواصلة القراءة إلى ما يليه دون انقطاع في الإلقاء. ويعزى هذا الأسلوب إلى الشاعر فيكتور هيجو، الذي يعد من أبرز من رسّخ هذا الاتجاه في الشعر الغربي»[5].

---

[1]- ينظر: نادية دحماني، أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، مرجع سابق، ص168.
[2]- خليل ثابت: بلاغة العرب والإفرنج، المقتطف، مج 24، ع3، مصر، مارس1900م، ص216.
[3]- أحمد كامل: بلاغة العرب والإفرنج، المقتطف، مج24، ع1، مصر، يناير1900م، ص45.
[4]- عيسى إسكندر المعلوف: قبريات العجم، المقتطف، ع6، مج31، القاهرة، يونيو 1906م، ص461.
[5]- ينظر: نجيب حداد، مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي- تابع لما قبل، مجلة البيان، ع8، 16سبتمبر1897م، ص335-339.

وعند البحث نجد الكثير من الشعراء الذين اختاروا لدواوينهم عناوين شبيهة بالتي أطلقها الرومانسيون الغربيون، منها: **"أوراق الخريف"** لندرة حداد الذي يطابق عنوان أحد دواوين هيجو، كما ونجد **"ميخائيل نعيمة"** قد اقتبس نفس الاسم في قصيدته **"أوراق الخريف"**، عبّر من خلال هذه القصيدة عن رؤاه الفلسفية تجاه قضايا الحياة والموت والبعث، مقدّما تأملات عميقة تعكس نظرته الوجودية. وقد جدّد في بنائها ومضمونها، إذ قسمها إلى مقطوعات متتابعة، مما أضفى على النص إيقاعا داخليا متنوعا، كما نوّع في استخدام القوافي، فأسهم ذلك في تعزيز البعد الجمالي والفني للقصيدة.

وفي الجزائر نجد «رمضان حمود اطلع على أعمال عدد من كبار الكتّاب الفرنسيين، مثل فيكتور هيجو، ولامارتين، وفولتير، ولاموني، وكان يعرب في كتاباته عن إعجابه الشديد بهم. وقد دعا إلى الانفتاح على الأدب الغربي والاحتكاك به، مؤكدا على أهمية تطعيم الأدب العربي بعناصر مستمدة من النتاج الأدبي الأوروبي»[1].

ثانيا: ترجمات أعمال فيكتور هيجو

استفاد الأدب العربي الحديث استفادة بالغة من حركة الترجمة الواسعة التي نشطت تزامنا مع بروز الصحف والمجلات في مصر خلال القرن التاسع عشر. وقد شكل هذا الازدهار الإعلامي بيئة خصبة لاستقبال الأدب الأجنبي، لاسيما الأدب الفرنسي، الذي حظي بمكانة متميزة لدى الأوساط الثقافية العربية. وأسهم هذا الانفتاح على الثقافة الفرنسية في توسيع آفاق الأدب العربي وتعزيز حضوره ضمن المشهد الأدبي العالمي. ومن بين أبرز الأعمال التي ترجمت إلى اللغة العربية أعمال فيكتور هيجو، فخلال هذه الفترة نجد روايته **"البؤساء"**، والتي ترجمها العديد من العرب من بينها **"حافظ إبراهيم"**. وهذه الترجمات تعرضت لنقد بسبب عدم الدقة أو الاقتصار على اختصارات، وقد أرفق ترجمته لرواية البؤساء بكلمة تمهيدية عن مؤلفها فيكتور هيجو، تناولت سيرته الأدبية ومكانته في الأدب العالمي. غير أن هذه الترجمة، كما أشار طه حسين، لم ترق إلى مستوى الأصل من حيث العمق الأدبي والتعبير الفني، بحيث نجده يقول:

[1]- ينظر: محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث-اتجاهاته وخصائصه الفنية(1925م-1975م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م، ص116

«على ضخامة ألفاظها وفخامة أساليبها و على ما لها من بهجة و جمال – ليست دقيقة و لا حسنة الأداء». بينما هناك «ترجمة كاملة ومضبوطة للأديب منير البعلبكي التي جاءت في خمسة مجلدات متوازية مع الأصل الفرنسي»[1]، إضافة إلى مسرحيته هي مسرحية **"هرناني"** (Hernani) والذي قام بترجمتها نجيب حداد، بحيث ترجمها ترجمة نثرية ممزوجة بشعر في القاهرة سنة (1901م) وقد جاءت هذه الترجمة في **56 صفحة**»[2]، أما بالنسبة للترجمات العربية لأعماله الشعرية، والتي ساهمت في إغناء الذائقة الأدبية العربية وأثرت في مسار تطورها فهي عديدة.

لقد تم القيام بتجميع بعض الترجمات لهذه الأعمال الشعرية في كتب مخصصة، مثل كتاب "بلاغة الغرب" لمحمد كامل حجاج (1922م)، والذي قام «بترجمة نثرية لعدة قصائد من بينها قصيدتين لفيكتور هيجو هي: **"نابليون الثاني"** (Napoléon II) و**"الغريق"** (Le Naufragé)، مع شروحات في الهوامش»[3]. كما وقد «قام شحاذة اليازجي بتعريب شعري لأشهر قصائد الشعراء الفرنسيين، وجمعها بديوان أسماه **"القطرات"**، منها أربعة قصائد لفيكتور هيجو هي: بعد المعركة، وليلة في الأوقيانوس، واترلو، والفقراء»[4]. وفي هذا الديوان نجده قد ذكر بأن قصيدة **"واترلو"** تم ترجمتها من طرف نجيب الحداد ترجمة نثرية.

نجد عند بحثنا عن القصائد المترجمة الأخرى لفيكتور هيجو قصيدة أخرى والتي تسمى **"غدا، عند الفجر"** (Demain, dès l'aube)، والتي هي واحدة من أشهر القصائد التي كتبها، ونشرت سنة (1856م) في مجموعته الشعرية التأملات. وقد ترجمها بعض العرب، من بينهم المترجم العراقي **"د. علي القاسمي"**، الذي «قام بترجمتها من الفرنسية إلى العربية وتم نشرها بتاريخ

[1]- ينظر: حفناوي رشيد، الترجمة الأدبية - الخطاب المهاجر ومخاطبة الآخر، دار اليازوري، الأردن، 2018م، ص69.
[2]- ينظر: إلياس أبو شبكة، المجموعة الكاملة: في النثر، دار رواد النهضة، مج2، 1985م، ص339.
[3]- ينظر: محمد كامل حجاج، بلاغة الغرب، ص 9 – 22.
[4]- ينظر: شحاذة اليازجي، القطرات، مطبعة الإرشاد، اللاذقية، 1946م ،ص105- 140.

(25أفريل 2023م) »[1] ، والمترجم المصري **"محمد السنباطي"** الذي «قام بترجمتها هو الآخر»[2].

كما نجد في الجزائر عددا من الشعراء الذين قاموا بترجمة أعمال فيكتور هيجو الشعرية، ومن أبرزهم «أحمد رضا حوحو(1912م-1956م) الذي تخرج من مدرسة فرنسية بالجزائر، والذي قد قام بترجمة بعض أشعار فيكتور هيجو لما كان بالحجاز في الثلاثينيات»[3]. كما نذكر أيضا «رمضان حمود الذي يرى أن بعض الفقرات التي أوردها رمضان في مقاله عن حقيقة الشعر تكاد تكون ترجمة حرفية لما قاله فيكتور هيجو في تعريفه للشعر»[4]

وقد «تضاعفت حركة الترجمة الأدبية من الفرنسية إلى العربية في الجزائر مع الطاهر بوشوشي (1916م-1978م) الذي ترأّس تحرير مجّلة **"هنا الجزائر"**، و كان يترجم عن هيجو و لامارتين و بودلير»[5]، كما يذهب الطاهر بوشوشي إلى القول بأن: «فيكتور هيجو كان وما يزال ملأ سمع الزمن وبصره فهو كزميله العربي أبي الطيب المتنبي ممن تسمع كلماته من به صمم وهو من الشعراء العماليق الذين يجرون لا يجرى معهم.. , وفي إحياء ذكراهم إسوة لأبناء هذا العصر على الاقتداء بهم. والاطلاع على آثارهم والاقتباس من نورهم»[6].

وتتضمن المجموعة الموالية فهرسة منهجية لقصائد فيكتور هيجو، والتي تمت ترجمتها إلى اللغة العربية قبل عام (1914م)، مع الإشارة إلى عناوينها ومترجميها وتواريخ النشر[7]:

---

[1]- علي القاسمي: فيكتور هيجو: غدا مع الفجر، صحيفة المثقف(ترجمات أدبية)، 25 ابريل2023م

[2]- محمد السنباطي: فيكتور هيجو – غدا... مع الفجر، انطولوجي.

[3]- ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1854م-1830م)، دار الغرب الإسلامي، ج10، 1998م، ص197- 202.

[4]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث-اتجاهاته وخصائصه الفنية(1925م-1975م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م، ص116.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص541.

[6]- ينظر: المرجع نفسه، ص119.

[7]- ينظر: حلمي بدير، الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1991م، ص244-268.

- نار السماء : فيكتور هيجو، حنا صاوة، الزهور، مارس سنة 1911م، ص36 وما بعدها.
- عفريت المنزل، تر: لويس أسود، الزهور، مارس سنة 1911م.

-فهرست القصائد المترجمة خلال الفترة الزمنية من سنة (1914م)حتى سنة (1939م):

- سخرية القدر، تر: أمينة أحمد طه، السياسة الأسبوعية، 19-1928م.
- الذكرى، تر: أمينة أحمد طه، السياسة الأسبوعية، 16 يونيو 1928م.
- الطبيعة والإنسان، تر: أمينة أحمد طه، السياسة الأسبوعية، 07 يوليو سنة 1928م.
- الحجاب، تر: محمود حسن السيد، السياسة الأسبوعية، ع172، 1929م
- دموع في ظلام الليل ، تر: عبد العزيز صبري، السياسة الأسبوعية، ع173، سنة 1929م.
- الجدّة، تر: محمود حسن السيد، السياسة الأسبوعية، 20 يوليو 1929م
- الحياة : هيجو.
- ولد جميل، تر: بيير زهرة، السياسة الأسبوعية، 17 أغسطس 1929م
- بزوغ الفجر، تر: محمود حسن السيد، السياسة الأسبوعية، 23 نوفمبر 1929م.
- الفقراء، تر: كامل تهامي، السياسة الأسبوعية، 20 ديسمبر 1930م.
- حزن ألمبيو، تر: ابن عبد الملك الرسالة سنة ع2، 1933م.
- الطبيعة والإنسان، تر: فخري أبو السعود، مجلةع165،لة، ع7، 1933م.
- أغنية، تر: سامي الدهان، الرسالة، ع12، 1933م.
- الطفل النائم، تر: إقبال بدران، أبوللو، يناير سنة 1933م، ص560.
- أغنية، تر: مختار الوكيل، أبوللو، يناير سنة 1933م، ص560.
- لو كان، تر: أبوللو، يناير سنة 1933م، ص654.
- بين اليأس والأمل، تر: إسماعيل سري الدهشان، أبوللو، فبراير 1933م، ص657.

- شرقيات فيكتور هيجو ، تر: إسماعيل سرى الدهشان، أبو للو، ع8/ أبريل 1933م، ص883.
- نزهات بين الصخور، تر: محمد وصفي، مجلة الرسالة، ع85، 1935م، ص79.
- الأشباح، تر: فؤاد نور الدين، الرسالة، ع143، 1936م.
- الراعي الشيخ، تر: أحمد فتحي مرسي، الرسالة، ع165 ،1936م، ص71.
- الزهرة والفراشة، تر: خليل هنداوي، المقتطف، مج89، ص472.
- خطرة، ت1937م. هنداوي. المقتطف مج89، ص472.
- الأشباح، تر: يحي شرارة، السياسة الأسبوعية، ع36، 1936م.
- الراعي المحتضر، تر: أحمد فتحي مرسي، السياسة الأسبوعية، 6 مارس 1937م
- أقوى من الزمن ، المقتطف، ع90، ص16.
- مقتل الحسان، تر: أحمد أبو الخضر منسي، المقتطف، مج92، ص604.
- من أنت، تر: إسماعيل أدهم، المقتطف، المجلد93، 1938م، ص72.
- تقهقر نابليون من فرنسا، تر: ابن عبد الملك، مجلة الرسالة، سنة 1939م، ع304، ص875

بالإضافة إلى الترجمات الأخرى التي لم يتم تضمينها ضمن هذه المجموعة، ومن أبرزها:

- وا حسرتاه! ما أكثر ما أريت من عادات هصرتهن يد المنون!، تر: فؤاد نور الدين، الرسالة، ع134، 1936م، ص36-40.
- ولد الفجر، محمود فهمي رزق، مجلة الرسالة، ع12، 1933م، ص63.
- الطبيعة والإنسان، ميشبل جرجس المهندس، المقتطف، ع2، مج 82، 1933م.
- الطبيعة والإنسان، فخري أبو السعود، الرسالة، ع7، 1933م، ص54.
- الطبيعة والإنسان، علي شرف الدين، الثقافة، ع318، مصر، 1945م، ص28.

وقد خصص أحمد حسن الزيات في مجلته "الرسالة" عدة أقسام تناولت الأدب الفرنسي والشعر المترجم، وقد أولى اهتماما خاصا بأدب فيكتور هيجو، مستعرضا أبرز موضوعاته الإنسانية الراقية. وقد عمل الزيات على اختيار نصوص ذات طابع إنساني عميق، مما يعكس حرصه على تقديم الأدب الغربي،

وخاصة الفرنسي، بما يتناسب مع الذائقة الفكرية والثقافية للقارئ العربي آنذاك، ومن أبرزها:

- الفقراء- قصيدة لفيكتور هيجو، مجلة الرسالة، ع416، 1941م، ص1-7.
- قصيدة المستقبل(حول نابليون عقب واترلو)، مجلة الرسالة، ع376، 1940م، ص59.
- البريد الأدبي، مركز هيجو في النثر، مجلة الرسالة، ع 100، 1935م، ص68.

حظيت أعمال فيكتور هيجو، ولاسيما الشعرية منها، باهتمام ملحوظ في السياق العربي، تجلّى في عدد من الترجمات والدراسات التي سعت إلى مقاربة رؤيته الجمالية والإنسانية. ورغم أن أعماله الروائية حازت النصيب الأكبر من الترجمة والانتشار، فقد نقلت إلى العربية مختارات من دواوينه مثل أوراق الخريف وأسطورة العصور، غالبا ضمن مبادرات ثقافية أو أكاديمية. وقد ركّز النقاد العرب على الطابع الرومانسي في شعره، من حيث النزعة التأملية والبعد الإنساني، مشيرين إلى أثره في شعراء النهضة العرب، خصوصا في استخدامه للخطاب المباشر والرمزية والطابع الوجداني. ورغم محدودية الاهتمام النقدي بشعره مقارنة برواياته، يبقى هيجو حاضرا في الوعي الأدبي العربي بوصفه شاعرا إنسانيا عالميا ترك بصمة واضحة في مسار الشعر الحديث.

ملحق

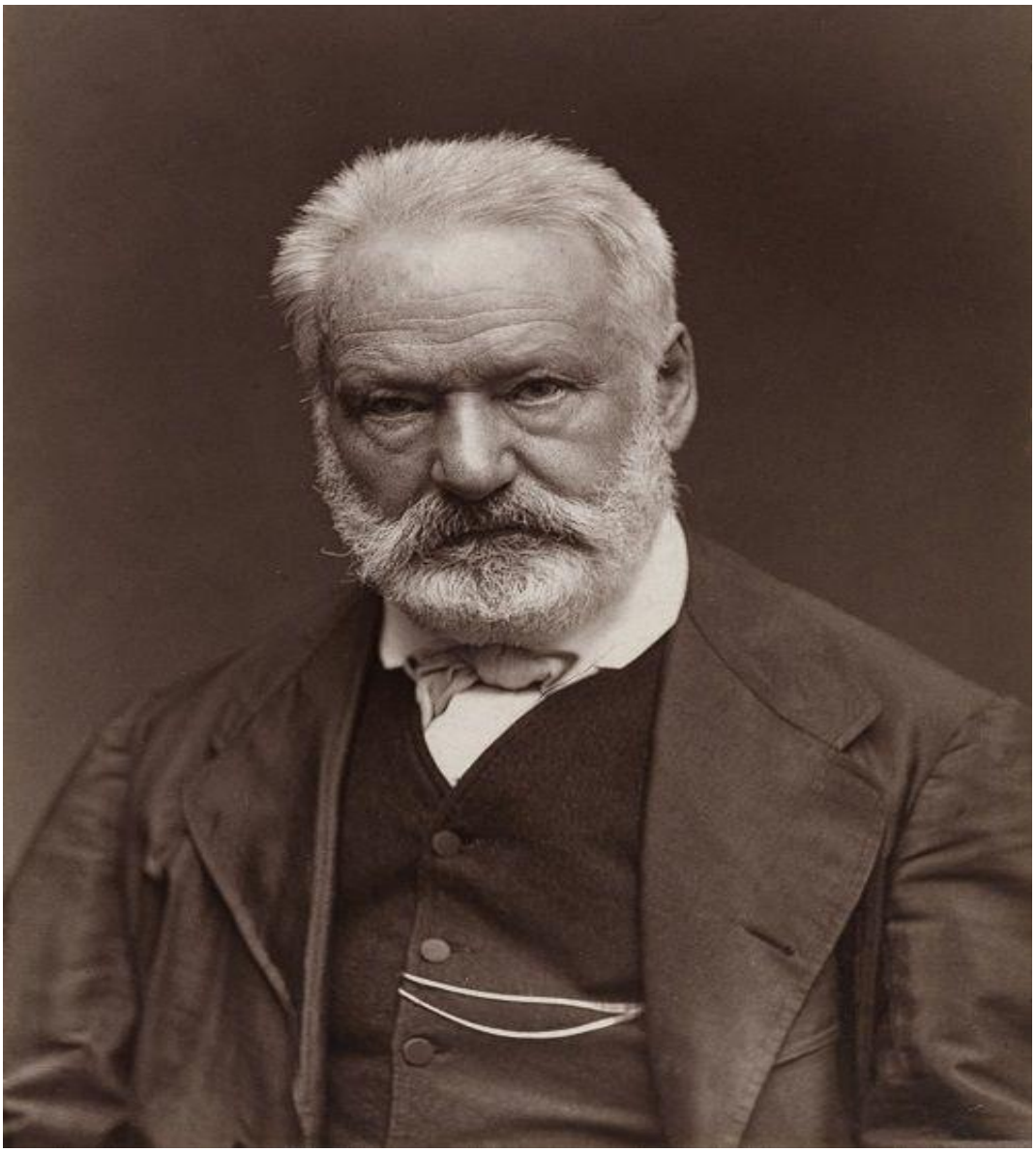

ملحق: موجز عن حياة فيكتور هيجو

فيكتور هيجو من أبرز رواد الحركة الرومانسية في فرنسا وأحد أعلام الأدب في القرن التاسع عشر. تميز بتنوع إنتاجه الأدبي بين الرواية والمسرح والشعر والنقد، واشتهر بدفاعه عن العدالة وحقوق الإنسان. كما كان شخصية سياسية وفنانا تشكيليا، ما جعله رمزا ثقافيا متعدد المواهب والتأثير. وقد ترجمت أعماله إلى معظم اللغات المنطوقة، مما رسّخ مكانته في الأدب العالمي.

مولده ونشأته:

ولد فيكتور هيجو في 27 فبراير سنة 1802م بمدينة بيزانسون الواقعة شرقي فرنسا، وكان أصغر أشقائه، إذ جاء ثالثا بين أبناء جوزيف ليوبولد سيجيسبير هيجو، أحد كبار ضباط جيش نابليون. أما والدته والتي تدعى صوفي تريبوشيه، فكانت ابنة ضابط في البحرية الفرنسية[1].

تنقّل هيجو في طفولته بين عدّة بلدان أوروبية بحكم طبيعة عمل والده العسكري، فقد أقام لفترات متقطعة في كل من إيطاليا وإسبانيا، حيث شغل والده مناصب عسكرية في نابولي ثم مدريد. وقد أتاح له هذا التنقل المبكر الاطلاع على بيئات ثقافية متعددة، الأمر الذي أسهم في توسيع أفقه وتغذية خياله الأدبي. ولمّا بلغ العاشرة من عمره، عاد مع والدته إلى باريس، وقد أعجبته فأطلق عليها المكان الذي ولدت فيه روحي[2].

تلقى فيكتور هيجو تعليمه في باريس، حيث تعلّم اللغة اللاتينية ودرس الحقوق، غير أن دراسته لم تكن منتظمة. ومع ذلك، فقد عرف بذكائه المتوقد وتفوّقه، وكان شغوفا بالمطالعة منذ سنواته الأولى[3].

تزوّج فيكتور هيجو في سن العشرين من رفيقة طفولته "أديل فوشيه" (Adèle Foucher)، وقد أنجب منها أربعة أبناء: **"ليوبولدين"** (Léopoldine) المولودة في (28 أغسطس 1824م)، و**"شارل"**(Charles) في (4 نوفمبر

---

[1]- عائشة قاسمي: الملامح الشرقية في ديوان (الشرقيات) للشّاعر الفرنسي فيكتور هوجو (قصيدة غرناطة أنموذجا)، مرجع سابق، ص19.

[2]- نادية دحماني: أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، مرجع سابق، ص177-178.

[3]- ينظر: إكرام بقدور، البؤساء والمعذبون في الأرض، دراسة فنية مقارنة، رسالة تخرج دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017م-2018م، ص18-19.

1826م) ، و"**فرانسوا-فيكتور**"(François-Victor) في (28 أكتوبر 1828م)، وأديل هيجو (Adèle Hugo) في (28 يوليو 1830م). وقد استمر زواجهما حتى وفاة زوجته "**أديل**" (Adèle)سنة 1868م ، بعد أن تقاسما سنوات طويلة من الحياة العائلية[1].

بعد اندلاع ثورة (1848م)، انتخب فيكتور هيجو عضوا في الجمعية التأسيسية ثم في الجمعية التشريعية. غير أن انقلاب ديسمبر (1851م)، الذي أطاح فيه لويس نابليون بونابرت بالجمهورية ليعلن في العام التالي قيام الإمبراطورية الثانية، دفع بهيجو إلى صفوف المعارضة. وقد عبّر عن رفضه الصريح للنظام الجديد، حيث حرّض الشعب الفرنسي برسائل قوية، من أبرزها تلك التي وجهها إلى بسمارك بعنوان: "**من عظيم ألمانيا إلى عظيم فرنسا**". ما أدى إلى نفيه لمدة تسعة عشر عاما. وقد تنقّل خلال فترة نفيه بين بروكسل، وجزر القنال "**غيرنزي وجيرسي**" [2].

وبعد سقوط الإمبراطورية الثانية عام (1870م) وعودة النظام الجمهوري، رجع هيجو إلى فرنسا، واستأنف نشاطه الأدبي والسياسي. نصّب نائبا عن باريس في مجلس الشيوخ، وأسّس "جمعية الأدباء والفنانين العالميين"، التي تولّى رئاستها الفخرية عام (1878م). وظلّ مقيما في باريس، مكرّسا ما تبقى من حياته لخدمة الأدب والفكر[3].

نبوغه الأدبي:

برزت ملامح النبوغ الأدبي لدى فيكتور هيجو في سن مبكرة، حيث أظهر منذ طفولته ميلا واضحا إلى الكتابة والإبداع، إذ نال وهو في الخامسة عشرة جائزة شعرية من الأكاديمية الفرنسية عن قصيدته "**حسناوات الدراسة**". وفي أواخر عام (1819م) شارك في تأسيس "**صحيفة المحافظ الأديب**" (Le Conservateur Littéraire) بدعم من الكاتبين "**سوميه**" و"**فيني**"، ونشر فيها أكثر من (272 مقالة) قبل أن تتوقف بعد عام واحد. وفي عام (1822م) أصدر أول ديوان

[1]- ينظر: إكرام بقدور، البؤساء والمعذبون في الأرض، دراسة فنية مقارنة، مرجع السابق، ص19-20.
[2]- ينظر: نادية دحماني، أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، مرجع السابق، ص182-183.
[3]- ينظر: فيكتور هيجو، البؤساء(خمسة أجزاء كاملة)، تر: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ج1، ط1(مايو 1955م)، ط2(ابريل 1979م)، ص08.

شعري له بعنوان قصائد (Odes)، وقد لاقى إعجاب الملك لويس الثامن عشر، والذي منحه راتبا شهريا تقديرا لموهبته[1].

تعد فترة 1827م إلى 1843م التي أصدر فيها مسرحيته التاريخية كروميل Cromwell بمقدمتها الشهيرة التي شن فيها حربا لا هوادة فيها على المفاهيم المسرحية الكلاسيكية، بحيث أعتبر هيجو زعيم الحركة الرومانتيكية

اعتبرت هذه الفترة أخصب عهوده بالإنتاج الأدبي إذ وضع فيها مقطوعاته (الشرقيات Les Orientales) ومسرحية (هيرناني Hernani) ورواية (نوتردام دوباري Notre-Dame de Paris). حتى إذا كان عام 1841م انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية بعد أن أخفق في ذلك أربع مرات متعاقبات، وطوال العشر سنوات التي تلت[2].

خلال انشغاله بالشأن السياسي، بدأ فيكتور هيجو في كتابة روايته الشهيرة البؤساء، وقد أسهمت فترة نفيه في إثراء تجربته الشعرية، إذ اكتسبت أعماله خلالها أبعادا جديدة من القوة والرحابة، فأنجز خلالها بعضا من أبرز إبداعاته، مثل: **التأملات** (Les Contemplations) (1856م)، والقسم الأول من **"أسطورة العصور"** (La Légende des siècles) (1859م)، والبؤساء Les Misérables (1862م)[3].

أعماله:

خلّف فيكتور هيجو إرثا أدبيا ضخما تنوّع بين الشعر والرواية والمسرح، إذ بدأ بنشر أعماله في هذه الفنون منذ وقت مبكر، فتميّز بمكانة رفيعة بين معاصريه، نظرا لغزارة إنتاجه وتنوّعه، حيث ألّف العديد من الدواوين الشعرية والمسرحيات إلى جانب رواياته الشهيرة.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص11.
[2]- فيكتور هيجو: البؤساء(خمسة أجزاء كاملة)، المرجع السابق، ص08
[3]- المرجع نفسه، ص11

شعره:

يعدّ فيكتور هيجو شاعرا غنائيا من الطراز الرفيع، وقد عبّر في شعره الغنائي عن مشاعر الحب والطبيعة والتأمل والحنين بأسلوب رومانسي عميق. ومن أبرز دواوينه الغنائية[1]:

- نشائد Odes سنة (1822م).
- نشائد جديدة Odes Novelle Odes سنة (1824م).
- الشرقيات Les Orientales سنة (1829م).
- أوراق الخريف Les Feuilles d'automne سنة (1831م).
- الأصوات الداخلية Les Voix Intérieurs سنة (1837م).
- الأشعة والظلال Les Payants et Ombres سنة (1840م).
- التأملات Les Contemplations سنة (1857م).

كما يعدّ شاعرا ملحميا، صوّر في أعماله مسيرة الإنسانية عبر التاريخ من خلال لوحات شعرية خالدة، تعكس رؤية فلسفية للتقدّم بوصفه صراعا دائما بين الخير والشر في سبيل بلوغ النور. وتعدّ أسطورة العصور La Légende des siècles أبرز دواوينه الملحمية، وقد نشرت في ثلاثة أجزاء متتابعة أعوام (1859م، 1877م، و1883م)[2].

مسرحياته:

أسهم فيكتور هيجو في تجديد المسرح الفرنسي، وكان من أبرز الداعين إلى التحرر من قيود الكلاسيكية الصارمة. ومن أشهر مسرحياته[3]:

مسرحيات شعرية:

- المسرحية التاريخية كروميل Cromwell سنة (1827م)
- مسرحية هرناني Hernani سنة (1830م)
- مسرحية الملك يلهو Le Roi s'amuse سنة (1832م)

---

[1]- ينظر: عائشة قاسمي، الملامح الشرقية في ديوان (الشرقيات) للشّاعر الفرنسي فيكتور هوجو (قصيدة غرناطة أنموذجا)، مرجع سابق، ص21.

[2]- ينظر: فيكتور هيجو، البؤساء(خمسة أجزاء كاملة)، مرجع سابق، ص13.

[3]- فيكتور هيجو: المرجع نفسه، ص14.

مسرحيات نثرية:

- مسرحية **لوكريس بورجيا** Lucrèce Borgia سنة (1833م)
- مسرحية **ماري تيودور** Maries Tudor سنة (1833م)

رواياته:

حقق فيكتور هيجو مكانة أدبية رفيعة بفضل رواياته التي تعدّ من الركائز الأساسية في الأدب الفرنسي الكلاسيكي والحديث، فقد أعطى روايات عديدة منها[1]:

- **هانز الأيسلندي** Han d'Islande سنة (1823م).
- **آخر يوم للمحكوم عليه بالإعدام** Le Dernier Jour d'un Condamné (1829م).
- **نوتردام دوباري** Notre-Dame de Paris سنة (1831م).
- **الرجل الضاحك** L'homme qui rit سنة (1869م).
- ثلاثة وتسعون Quatrevingt-treize سنة (1871م) .

ولعل من أعظم رواياته البؤساء Les Misérables (1862م)، والتي تعد ذروة إبداع فيكتور هيجو وأخلد أعماله، إذ شرع في كتابتها قبل عام 1850 وأتمّها عام 1862، متأثرا بالأفكار الإنسانية والاشتراكية التي دعا إليها مفكرون كـ**كابيه** و**برودون**. وقد صوّر فيها معاناة المهمشين الذين يدانون باسم النظام أو الأخلاق، بينما تعود مآسيهم إلى فساد المجتمع.

وهذه الرواية تجمع بين البعد الاجتماعي، إذ تفضح مظالم الطبقات الفقيرة، والبعد التاريخي، حيث تجسّد تحوّلات فرنسا خلال عهدي نابليون بونابرت ولويس فيليب. وهي، فوق ذلك، ملحمة فكرية وشاعرية تمجّد الحرية والعدالة والتقدّم الإنساني. وتبقى أبرز ملامحها شخصياتها المؤثرة ومواقفها الخالدة، وعلى رأسها الأسقف ميريل وفانتين وجان فالجان، إلى جانب مشاهد تاريخية كمعركة واترلو وثورة 1832، التي تنبض جميعها بروح هيجو الإنساني وشاعريته المؤمنة بالمحبّة والخير العام[2].

---

[1]- عائشة قاسمي، الملامح الشرقية في ديوان (الشرقيات) للشّاعر الفرنسي فيكتور هوجو (قصيدة غرناطة أنموذجا)، مرجع سابق، ص23.

[2]- ينظر: فيكتور هيجو، البؤساء(خمسة أجزاء كاملة)، مرجع سابق، ص14-15.

ما قيل في إسلامه:

كثرت التأويلات حول مواقف هيجو من الإسلام بين معارضين ومؤيدين.

يرفض معارضو فرضية اعتناق فيكتور هيجو للإسلام هذا الطرح، ومن أبرزهم من يتمسكون بالمرجعيتين المسيحية واليهودية في السياق الأوروبي، كالقائمين على موقع (Islamo vigilance) الفرنسي، الذين يعدّون هذه المزاعم **"حملة إسلامية"** تهدف في رأيهم إلى ربط رموز التاريخ الأوروبي بالإسلام لتحسين صورته بعد هجمات (11 سبتمبر 2001م). ويعرف الموقع بشعاره: **"لكي لا تتحول فرنسا أبدا إلى دولة مسلمة"**.

وهذا ما يكشف عن توجه أيديولوجي مناهض لأي تقارب ثقافي أو ديني مع العالم الإسلامي.

في المقابل، يستند المؤيدون لفرضية اعتناق فيكتور هيجو للإسلام إلى ما طرحه الكاتب السنغالي **"إبراهيم هان"**، الذي يشير إلى وجود مخطوطات لهيجو تعكس ميوله الإسلامية، معتبرا إياها جزءا من التراث الإنساني. ويرى هان أن الشيخ الجزائري إبراهيم التلمساني كان له دور في هداية هيجو، ويتهم الماسونيين بمحاولة طمس هذه الحقيقة عبر تنظيم جنازة ماسونية له وتعديل بعض أشعاره لتشويه صورته. كما يستشهد بتقرير نشرته صحيفة **لاكروا** عام (1858م) يصف هيجو بـ**"الجنون"** لثلاثة عقود. ويؤكد أن هيجو اتخذ اسم **"أبو بكر"** وعبّر عن إعجابه بالخليفة الأول، مستشهدا بمقولته حول عبادة الله. ونجده يستدل على هذا الطرح بنصوص شعرية لهيجو، منها قصيدته **"آية من القرآن"**، التي تعكس تأثره بالقرآن واحترامه للأنبياء، ما يعدّ دليلا على إيمانه الداخلي.

وفاته:

توفي فيكتور هيجو في (22 ماي 1885م) بعد معاناة دامت أربع سنوات مع مرض عضال، وقد أقيمت له جنازة وطنية في 1 جوان من العام نفسه، شهدت حضورا جماهيريا واسعا تجاوز مليوني شخص، رافقوا جثمانه إلى مثواه الأخير قوس النصر المتواجد في متحف البانثيون بباريس، تعبيرا عن التقدير

الوطني لمكانته الأدبية والرمزية في فرنسا[1]، وفي 22 ماي 1935م احتفلت فرنسا بالذكرى الخمسينية لوفاته احتفالا يعز نظيره[2].

وتم نشر مؤلفات بعد وفاته، لكنها غير مكتملة بدءا من "**نهاية الشيطان**" (La Fin de Satan) سنة (1886م)، وكذلك "**المسرح في حرية**" (Le Théâtre en liberté)، و"**أمي روبسات والتوائم**" (Any Robsat et Les Juneau) سنة (1889م)، و"**أشياء ترى**" (Choses Vues) سنة (1887م-1900م) و"**جميع الرباب**" (Toutes la Lyre) سنة (1888م-1899م) و"**جبال الألب والبيريني**" (Alpes et Purenées) سنة (1890م)، و"**الرب**" (Dieu) سنة (1891م)، و"**فرنسا وبلجيكا**" (France et Belgique) سنة (1892م)، و"**الانسجام**" (La Correspondance) سنة (1896م-1898م) ، و"**سنوات الكتابة**" (Les Années funestes) سنة (1898م)

و"**مرحلة التأليف في حياتي**" (Le Post-scriptum de ma vie) سنة (1901م) ، و"**رسائل إلى مخطوبتي**" (Les Lettres à la fiancée) سنة (1901م) و"**الحزمة الأخيرة**" (Dernier Gerbe) سنة (1902م)[3].

يقول "**بودو**"Boudout: «إن سيرة فيكتور هيجو الفريدة وشخصيته البارزة، التي انعكست بوضوح في أعماله الأدبية، جعلته محطّ اهتمام واسع من مختلف الأوساط، ولاسيما الأكاديمية منها. فقد ارتبط اسمه بالثورة الفكرية والصرامة في المواقف، ما جعله رمزا أدبيا مميزا في فرنسا. وقد ظلّت شخصيته وأعماله محل نقاش مستمر بين مؤيديه ومعارضيه، غير أن النقد السلبي غالبا ما كان عاجزا عن النيل من مكانته الراسخة. فمكانته في الأدب الفرنسي أشبه بتمثال فني شامخ، لا تهزّه العواصف، وسيبقى من أبرز الأسماء اللامعة في تاريخ الأدب العالمي»[4].

---

[1]- إكرام بقدور: البؤساء والمعذبون في الأرض، مرجع سابق، ص25.
[2]- فيكتور هيجو: البؤساء(خمسة أجزاء كاملة)، مرجع سابق، ص11.
[3]- إكرام بقدور: البؤساء والمعذبون في الأرض، مرجع سابق، ص25-26.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص26.

خاتمة

خاتمة

كان فيكتور هيجو من المهتمين بالثقافة الإسلامية والمعجبين بها، وقد تشكّلت صورته عن الشرق من خلال اطلاعه على الرسائل الفارسية وألف ليلة وليلة، وقراءته لأدب الرحلات، رغم أنه لم يزره فعليا. وقد عكست زيارته للأندلس حضورا عربيا مستدعى في نص غير عربي. آمن هيجو بروحانية الشرق في مقابل مادية الغرب، ورأى في التقائهما إمكانية لإنتاج تجربة إنسانية راقية، ما يعكس بوضوح التأثيرات الإسلامية في الثقافة الإنسانية عموما، وفي فكر هيجو على وجه الخصوص.

في سياق التبادلات الثقافية، وانطلاقا من ظاهرتي التأثر والتأثير بين فيكتور هيجو والثقافة العربية الإسلامية، جاءت هذه الدراسة لتسبر أغوار علاقة لا تزال تحظى باهتمام واسع في الأوساط الأكاديمية، وتثير تساؤلات مستمرة حول طبيعة الروابط الفكرية والثقافية التي تجمع هذا الأديب الفرنسي بالتراث العربي الإسلامي.

وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي، وإن لم ترتق إلى مستوى الاكتشاف الجديد، تمثل إسهاما متواضعا ضمن الجهود المحدودة التي تسعى إلى إبراز مظاهر التأثير والتأثر بين فيكتور هيجو والثقافة العربية.
ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج فيما يأتي:

- يمثل ديوان الشرقيات انفتاحا شعريا رومانسيا استشراقيا على الشرق، حيث تتناول قصائده موضوعات شرقية متعددة مثل الصحراء، الحب، الفروسية، الروحانية، والأساطير، مصوّرة بلغة شعرية غنية تجمع بين الإعجاب والتأمل والرغبة في استكشاف عالم جديد.
- يتجلى حضور الإسلام في ديوان فيكتور هيجو عبر ثلاث قصائد في الجزء الثالث: «السنة التاسعة للهجرة»، «محمد»، و«الأرز». تتسم هذه النصوص بنهج إنساني رفيع تجاه النبي محمد ﷺ وصحابته، مركزة على القيم الأخلاقية الكبرى كالعدالة والرحمة والزهد والصدق، مع تصوير تفاصيل يومية لحياة النبي ومشاهد مؤثرة لوفاته، مما يعكس احترام هيجو العميق لشخصيته الرمزية الرسالية والإنسانية.
- تقدم قصيدة «الأرز» مقاربة فكرية تجمع بين المسيحية والإسلام، حيث تدمج الروحانية الصوفية في مشهد شعري غني بالرموز والدلالات.

- تبرز مكانة الأمير عبد القادر الجزائري في شعر هيجو كشخصية مقاومة نبيلة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، حيث توظف صورة نابليون الثالث كرمز للجبروت الساخر مقابل ثبات وهيبة الأمير.
- الإشارة إلى تذوق هيجو لشعر المتنبي، مما يدل على اهتمامه العميق بالأدب العربي الكلاسيكي وقدرته على دمجه في فضائه السردي الغربي، كما يظهر ذلك في رواية «هان الإسلندي».
- امتداد تأثير فيكتور هيجو عالميا، متجاوزا حدود فرنسا، حيث شكّل عمق تجربته الإنسانية وغنى إنتاجه الأدبي ووضوح مواقفه الأخلاقية مصدر إلهام لعدد من الأدباء العرب في الأدب الحديث.
- أسهمت حركة الترجمة النشطة في القرنين التاسع عشر والعشرين في تعريف القارئ العربي بأعمال فيكتور هيجو، مما أتاح للأدباء دمج فكره وأسلوبه في الرواية والمسرح والشعر الرومانسي. ظهر تأثيره جليا في شعراء المهجر كإيليا أبو ماضي وشعراء النهضة مثل أحمد شوقي وخليل مطران، الذين تبنوا رؤيته الإنسانية والفلسفية وأسلوبه الرمزي واهتمامه بقيم الطبيعة والحرية والعدالة، مسهمين بذلك في دفع الشعر العربي نحو الحداثة.
- يتجلى التقاطع الفكري بين فيكتور هيجو وأدباء عرب في تبنيهم المشترك لقيم الحرية، مناصرة المظلومين، ونقد الاستبداد، التي ظلت مركزية في السياق العربي. هذه القيم جعلت من هيجو مرجعا أخلاقيا وفنيا ملهما، إذ أثر بعمق في مسارات الأدب العربي الحديث.

تمثل دراسة تأثر فيكتور هيجو بالثقافة العربية وتأثيره المتبادل عليها مجالا خصبا للأبحاث المستقبلية، إذ يمكن من خلاله استكشاف الأبعاد العميقة للتبادل الثقافي بين الغرب والشرق في القرن التاسع عشر. تتطلب الدراسات القادمة تحليلا أعمق للنصوص الأدبية والتاريخية لفهم كيف استلهم هيجو من التراث العربي، مثل قصصه حول الأمير عبد القادر الجزائري وشعر المتنبي، وكذلك تقييم الأثر الذي تركه هيجو على الأدب والثقافة العربية المعاصرة. كما يمكن أن تسلط هذه الدراسات الضوء على أدوار الترجمة، والوسطاء الثقافيين، والظروف السياسية والاجتماعية التي ساهمت في هذا التبادل الثقافي، مما يعزز فهما أكثر شمولية للعلاقات الثقافية بين الثقافتين

ملخص

يعنى هذا البحث الموسوم بـ(فيكتور هيجو عند العرب) بدراسة علاقة التأثير والتأثر بين فيكتور هيجو والثقافة العربية، إذ كان للشرق حضور بارز في أعماله، ولاسيما في ديوانه **الشرقيات**(1829م)، الذي تجلى فيه افتتانه بالطبيعة الشرقية. كما يظهر تأثره بالإسلام بوضوح في ديوانه **أسطورة العصور**، فضلا عن إعجابه بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري وشعر المتنبي. وفي المقابل، كان لفيكتور هيجو تأثير عميق في الثقافة العربية، حيث تفاعل معه عدد من الأدباء والشعراء العرب، واستلهموا من فكره وعناصره الفنية، إلى جانب ما حظي به من مديح ورثاء في نتاجاتهم. وقد حظيت أعماله باهتمام لافت في الأوساط الثقافية العربية، حيث جرى تدريسها وترجمتها إلى اللغة العربية.

Abstract

This study, titled Victor Hugo Among the Arabs, explores the relationship of influence and exchange between Victor Hugo and Arab culture. The East held a prominent place in his works, particularly in his collection Les Orientales (1829), which reveals his fascination with Eastern nature. His engagement with Islam is also clearly evident in his epic La Légende des siécles, alongside his admiration for the figure of Emir Abd-el-Kader of Algeria and the poetry of Al-Mutanabbi. Conversely, Victor Hugo had a profound impact on Arab culture. Many Arab writers and poets interacted with his thought and artistic elements, drawing inspiration from his works. He was also the subject of praise and elegy in their literary productions. His writings garnered significant attention in Arab cultural circles, where they were taught and translated into Arabic.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. الكتب بالعربية:

1-أبو الطيّب المتنبي: ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1403ه-1983م.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1854م-1830م)، دار الغرب الإسلامي، ج10، 1998م.

3-أحمد درويش: خليل مطران المسيرة والإبداع، تر: د. رشا صالح، راجعه: محمود إبراهيم البجالي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط1، 2010م.

4-أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م.

5-أحمد زكي أبو شادي: الينبوع، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، ج1، 2013م.

6-أحمد زكي أبو شادي: أنداء الفجر، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، مصر، 2013م.

7-أحمد زكي أبو شادي: قطرة من يراع في الأدب و الاجتماع، مطبعة الظاهر، القاهرة، ج1، 1907م.

8-أحمد شوقي: الأعمال الشعرية الكاملة، مج1، دار العودة، بيروت، 1988م.

9-أحمد شوقي: الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ج1، 2012م.

10-أحمد شوقي: الشوقيات، مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم، 6 يونيو2022م.

11-أحمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2007م.

12-الأدب المقارن، جامعة المدينة الأدبية المقارن.

13-الطّاهر أحمد مكي: الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1407ه-1987م.

14-إلياس أبو شبكة: المجموعة الكاملة: في النثر، دار رواد النهضة، مج2، 1985م.

15-إلياس أبو شبكة: روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة، دار المكشوف، بيروت، 1943م.
16-جمال الدين الرمادي: خليل مطران-شاعر الأقطار العربية، دار المعارف، مصر، ط1، 1972م.
17-حافظ إبراهيم: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الابياري، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر، ط3، ج1، 1948م.
18-حسن الإمراني: المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسيين، مؤسسة الرسالة، 1994/01/01م.
19-حفناوي بعلي: الترجمة الأدبية الخطاب المهاجر ومخاطبة الآخر، دار اليازوري العلمية، 2016م.
20-حلمي بدير: الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث. دار المعارف، ط2، 1991م.
21-حمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، ج1، ط1، 1412هـ 1992م.
22-خليل مطران: ديوان الخليل، دار مارون عبود، بيروت، ج2، 1977م.
23-ديزيره سقال: في الأدب المقارن، 2018م 2021م.
24-محمد بديع جمعة: دراسات في الأدب المقارن: دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1980م.
25-روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب و فيكتور هيڤو، مؤسسة هنداوي سي آي سي.
26-ريجيس بلاشير: أبو الطيّب المتنبي دراسة في التاريخ الأدبي، تر: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، ، سورية، دمشق، ط2، 1935م.
27-زكي مبارك: الموازنة بين الشعراء، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1993م.
28-زينات بيطار: الإستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، ع157، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1992م.

29-سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م.
30-شحاذة اليازجي: القطرات، مطبعة الإرشاد، اللاذقية، 1946م.
31-شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية و النقدية عند العرب و الغربيين، عالم المعرفة، 1993م.
32-شهيد عرفان: العودة إلى شوقي أو بعد خمسين عاما، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.
33-صابر عبد الدايم: الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، ط2، 1423ه-2003م.
34-طلعت صبح السيد: الأدب المقارن، د.م.ن، ط1، 2005م.
35-طه وادي: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1119م.
36-عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1965م
37-عبده عبود: الأدب المقارن - مشكلات وآفاق، اتحاد الكتاب العرب، 1999م.
38-فان تيجم: الأدب المقارن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949م.
39-فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، د/ط، 1984م.
40-فيكتور هيجو: مقدمة كروميل - بيان الرومانتيكية، تر: د.علي نجيب إبراهيم. دار الينابيع، لبنان، 1994م.
41-فيكتور هيجو: هان الإسلندي، ترجمة زياد العودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق، 2009م.
42-ماهر البطوطي: الرواية الأم: ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية ودراسة في الأدب المقارن، 2005م.
43-محمد عباسة: الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم (الجزائر) ، ط1، 1433ه-2012م.
44-محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط9، أكتوبر2008م.

45-محمد كامل حجاج، بلاغة الغرب.
46-محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث-اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925م-1975م) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.
47-نبيل رشاد نوفل: الأدب المقارن قضايا ومشكلات، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2009/01/01م.
48-نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

2. الكتب بالفرنسية:

1-Victor Hugo: O.C. Poésie II, La Légende des Siècles.

2-Victor Hugo: O.C. Poésie IV, Les châtiments.

3-Victor Hugo: Victor Hugo, Œuvres complètes, Poésie II: Les Orientales, Les feuilles d'automne, éd: Hetzel-Quantin, Paris, Non daté. Préface des Orientales, éd. originale, 1829.

4-Victor Hugo: les orientales.

3. المعاجم:

1-سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر (عربي - انجليزي ـ فرنسي) ، دار الآفاق العربية، ط1، 2001م.

4. الرسائل والأطروحات الجامعية:

1-إكرام بقدور: البؤساء والمعذبون في الأرض، دراسة فنية مقارنة، رسالة تخرج دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017م-2018م.
2-عائشة قاسمي: الملامح الشرقية في ديوان (الشرقيات) للشّاعر الفرنسي فيكتور هوجو (قصيدة غرناطة أنموذجا) ، بحث مقدم لنيل أطروحة الدكتوراه في الأدب العربي تخصص دراسات مقارنة، إشراف عبد العالي بشير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2018م-2019م.
3-نادية دحماني: أثر فيكتور هيڤو في شعر إيليا أبي ماضي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 12ماي 2024م.

5. المجلات العربية:

1-جون بروفو يقتفي تأثير اللغة العربية على لغة موليير، مجلة فنانة، 8 يناير 2022م – 19:11.

2-محمد حسن بدر الدين، الأديب الفرنسي فيكتور هيجو منشغلا بالإسلام، مجلة الرافد، 2024/07/15م.
3-روحي الخالدي: فيكتور هوكو، الهلال، س10، ج14، أبريل 1902م.
4-عباس محمود العقاد: حول الحرب والشعر، مجلة الرسالة، ع 385، 1940م.
5-عيسى إسكندر المعلوف: قبريات العجم، المقتطف، ع6، مج31، القاهرة، يونيو 1906م.
6-محمد سعيد العريان: للأدب والتاريخ، من صفحات التاريخ، الرسالة، ع219، 1937م.
7-نجيب حداد، مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي- تابع لما قبل، مجلة البيان، ع8، 16سبتمبر1897م.
8-نقولا فياض، بلاغة العرب والإفرنج، المقتطف، مج24، ع4، أبريل، 1900م.
9-هادي نظري منظم وريحانة منصوري: الأدب المقارن ومجالات البحث فيه، مجلة التراث الأدبي السنة الثانية، ع8.

6. المقالات:

1-موسى ولد أبنوا: مقالة (علماء وأدباء ومفكرون غربيون مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم)، 1443/01/08ه – 2021/08/17م.
2-محمد السنباطي: فيكتور هيجو – غدا... مع الفجر، انطولوجي.
3-معجب بن سعيد الزّهراني، مقالات نقدية (الشّرق والشّرقيون في ديوان فيكتور هيجو)،1421ه-2001م

7. مواقع الكترونية:

1-رقية صالح، منتديات منابر ثقافية، الادب المقارن comparative littérature، https://www.mnaabr.com/vb/printthread.php?t=3952، 03/07/2011م

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

-شكر وعرفان.....
-إهداء.....
-مقدمة.....أ

مدخل: الأدب المقارن –التأثير والتأثر-

1.أهمية المقارنة في الحياة ثم الأدب.....2
2.ظهور الموازنات والمقارنات.....3
3.الأدب المقارن نشأته وتطوره ودوره الثقافي.....4
4.دراسة ظاهرتي التأثير والتأثر.....6

الفصل الأول: تأثر فيكتور هيجو بالثقافة العربية

-المبحث الأول: دراسة في ديوان الشرقيات (المضمون الشعري).....15
-المبحث الثاني: تأثر وإعجاب فيكتور هيجو بالعالم الشرقي والإسلامي.....34

الفصل الثاني: تأثير فيكتور هيجو على الثقافة العربية

-المبحث الأول: العرب وتأثرهم بفيكتور هيجو.....46
-المبحث الثاني: دراسات العرب لفيكتور هيجو وأعماله وترجمات بعضها.....60
-ملحق: موجز عن حياة فيكتور هيجو.....73
-خاتمة.....81
-ملخص.....83
-قائمة المصادر والمراجع.....85
-فهرس الموضوعات.....91